إلى القارئ

حول الحساسية المغربية والثقافة المشرقية

بقلم : البشير بن سلامة

طالعتنا مجلة « الدوحة » القطرية ، التى يديرها بكل حنكة ودراية صديقنا رجاء النقاش الكاتب المعروف ، بسلسلة من المقالات حول موضوع طالما بقي حاضرا فى الاذهان لدى المثقفين فى المغرب العربى وحتى المشرق العربى وعلى الأخص عند كل المغاربة وهو غفلة المشرق العربى عن المغرب العربى أو جهله له أو تجاهله أو « ظلم ذوي القربى » أو « عقدة التفوق » اوغيرها من العبارات التى لم تحدد بعد الموضوع تحديدا علميا وعميقا نظرا الى الخوف من هذه الحساسية أو تلك مثلما عبر عنها صديقنا الدكتور محمد جابر الأنصارى فى مقالين متتاليين واردفهما الكاتب المغربى محمد العربى الخطابى بمقال ثالث حول الموضوع نفسه (*) .

ولا يسعنى فى هذا المجال الا أن أحيي صديقنا الدكتور محمد جابر الأنصارى لاثارته هذا الموضوع من جديد وعدم ركونه الى ضروب المجاملة

(*) – الحساسية المغربية والثقافة المشرقية للدكتور محمد جابر الأنصارى مجلة « الدوحة » عدد 123 ، مارس 1986 .

– أين عقدة التفوق رغم كل هذا الاعجاب المشرقي بالمغرب ؟ الدكتور محمد جابر الأنصارى « الدوحة » العدد 124 ، أفريل 1986 .

– قنوات الثقافة بين المشرق والمغرب ، بقلم : محمد العربى الخطابي « الدوحة » العدد 124 ، أفريل 1981 .

التقليدية التى كثيرا ما حجبت عنا الواقع وأبعدتنا عن ايجاد الحلول الكفيلة بتجاوز اخطائنا ومعالجة أدوائنا . وهو بالضبط نفس التمشي الذى انتهجه الاستاذ محمد مزالى فى مقالين هامين طرقا الموضوع ذاتــه فى أفريــل 1971 وبعد سبع سنوات فى أفريل 1978 . وها أن صديقنا الأنصارى يظفر بكتاب «فى دروب الفكر» بعد سبع سنوات أيضا ويتحفنا بهذا التحليل الشيق الذى وصل فيه الى نفس النتيجة التى وصل اليها الاستاذ محمد مزالى وهو حصر هذه الظاهرة فى رقعة من المشرق العربى قال الدكتــور الأنصــارى : « هــل المسألة مسألة مشرق تجاه المغرب ، ومسالة تجاهل مشرقى للشان المغــربى بهذا التقسيم العام الكاسح ، أنسأل ذلك لأننا هنا فى الجزيرة العربية والخليج عانينا من عزلة ثقافية ومن اغفال وشىء من اللامبالاة فى عــواصم المشــرق الثقافية الكبرى كبيروت والقاهرة تجاه أدبنا وأدبائنا فى الماضى وحتى وقت قريب ومع ذلك فنحن مشرق وهم مشرق » .

إذن فالظاهرة كانت موجودة واقول كانت بهذه الحدة ، تضيــق وتتسـع وتاخذ اشكالا متعددة ولكنها منحصرة فى رقعة من المشرق العربى وهى التى عرفت بوادر النهضة الاولى وفازت بالسبق طيلة عقود على مناطق عديدة من أرض العروبة وخاصة المغرب العربى وبقيت ماثلة فى مواقف محددة تظهر من حين الى آخر وهى واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار عندما أثارها الاستاذ محمد مزالى منذ 14 سنة ثم سبع سنوات ولم ينطلق من مجرد اوهام بل ان المقال الاول كان تعليقا على ما كتبته الدكتورة بنت الشاطىء فى جريدة « الأهرام » القاهرية (عدد 2 فيفرى و 5 مارس 1971) وهى التى ذكرت عبارة عقدة التفوق عندما قالت متسائلة : « فهل تكون ظاهرة العزلة من جانبنا مظهر عقدة تفوق موهوم تجعلنا ناخذ موقف المصدرين لبضاعة القلم لا المستوردين فيقرا لنا غيرنا ولا نقرا له ؟ » .

اما المقال الثانى فكان رد فعل مشــروع ضــد دراســة مطــولة نشرتهــا مجلــة « المــوقف الأدبــي » وكتبهــا ابن الــدوايمة (كانون الثانى 1978) وتعليقــا عــلى مــا ورد فى جريــدة مــن جــرائد المشــرق العــربى عندمــا

كتب صحافي قائلا : « كنت أظن ان تونس دولة عربية في شمال افريقيا لغتها الثانية هي الفرنسية وأعتقد الآن أن تونس دولة أوربية ناطقة بالفرنسية لغتها الثانية هي العربية » وكذلك تعليقا على ما كتبه الدكتور عبد العزيز الدسوقي في مجلة « الثقافة » المصرية (السنة 5 ، العدد 53 ، فبراير 1977) قائلا : « ولا شك أن هذه المسؤولية ـ أي مسؤولية حل أزمة الفكر القومي ـ تقع في الدرجة الاولى على مصر ... فهي مؤهلة بمفكريها وأعلامها ومؤسساتها العلمية والثقافية العريقة ، ومؤهلة بمناخها الديمقراطي الذي ينمو الآن باطراد وأرجو أن يصل الى الغاية ليتسع على بقية الاجزاء العربية التي لا تزال تغرق في متاهات التحكم الشمولي ومؤهلة بوحدتها الفكرية والروحية وضميرها العلمي وحسها الأخلاقي » .

ولكن بعد هذه السنوات الطويلة ارى لزاما علي أن اقول : إن كل شيء قد تبدل لان هذه المواقف سواء الصادرة عن المشرق العربي او المغرب العربي قد تجاوزها الزمن وان مظاهر التقصير التي منعتنا نحن عن التعريف بانفسنا وجهل إخواننا المشارقة لنا قد تضاءلت وزالت عنها الحدة المألوفة وأصبح الامر يتطلب تمشيا فكريا جديدا وموقفا أكثر عقلانية وموضوعية .

فمنذ ذلك التاريخ اى منذ نهاية السبعينات اصبحت تونس مقرا للجامعة العربية وللمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واصبح التعاون الاقتصادي والثقافي بين المشرق العربي والمغرب العربي امرا طبيعيا يتكامل مع التعاون الاقتصادي والثقافي بيننا وبين أوربا ولو احصينا اللقاءات السياسية والاقتصادية والثقافية التي تمت منذ سنة 1980 الى اليوم لتبينا ان كل شيء قد تغير لاعتبارات موضوعية عديدة :

منها ان إخواننا المشارقة عرفوا أن المغرب العربي مر باطوار تاريخية مغايرة لما عرفه المشرق العربي وان اهله ناضلوا طيلة عقود ضد استعمار استيطاني استهدف شخصيتهم العربية الاسلامية فقدر إخواننا المشارقة هذا النضال واعتبروا المجهود الذي قام به اهل المغرب منذ استقلال بلدانهم في

سبيل اعادة مد الجسور بيننا وبين اشقائنا مجهودا جبارا اتى بثمرته المرجوة اذ أننا اصبحنا نطالع يوميا مقالات ودراسات صادرة عن جرائد ومجلات مشرقية تتحدث عما يتم فى اقطار المغرب العربى من معالم النهضة . وهذا الدكتور غالي شكري يؤلف كتابا عن الثقافة العربية فى تونس وهذه جماعة ابولو الجديدة يقيمون خمسينية الشابى فى القاهرة ويؤلفون كتبا عديدة عن الادباء والكتاب التونسيين وهذا توفيق الحكيم يقدم كتابا للاستاذ محمد مزالى وهذه دور النشر فى القاهرة وبيروت تولي أكثر فأكثر عناية خاصة بالثقافة فى المغرب العربى .

ومنها أننا فى المغرب العربى قد قمنا بمجهود لاعادة ربط الجسور بيننا وبين إخواننا في المشرق العربى وحدنا ـ خاصة في تونس ـ سياسة تهدف الى التعريف بمعالم النهضة وخاصة الثقافية منها وتجاوزنا بذلك بعض مظاهر التقصير الصادرة عنا فى القديم ولا نزال مطالبين بمجهود أكبر لأننا قد تعلمنا الا نحمل غيرنا مسؤولية تقصيرنا بل يجب علينا أن نحاسب أنفسنا قبل محاسبة غيرنا .

وبهذه الصورة فانى مرتاح جدا الى ما أتاحه لى صديقنا الدكتور محمد جابر الأنصارى من فرصة لتوضيح رأينا فى الحساسية بين المشرق العربى والمغرب العربى وأقول له وهذا اعتقادى : إننا سائرون على الدرب الصحيح وإننا تجاوزنا اشواطا وأشواطا تلك المواقف التى سجلت فى أواخر السبعينات وإننا الآن نستشرف عهدا جديدا يستلزم وضع الخطط العملية المرحلية للبدء فيما لا أزال أدعو إليه وأعمل جاهدا من اجله وهو إزالة الحدود الثقافية بين أقطارنا وبالطبع بين جناحى العروبة .

البشير بن سلامة

تحيّة مِن الخضراء

شعر: محمد مَزهُود القيرواني

صَافى الزمانُ (*) ووافى بالذي رَاقَا ... وأدْرَكَ المُتمني مالَـهُ تَـاقَـا
صافى الزّمانُ بلقيا لم تعد حُلُما ... ولم يكُنْ عائِقٌ عن مِثلها عاقَا
قرّت بميمُونِها مِنَّا العيُونُ وكَمْ ... تَلقَ النفوسُ بِها إلاّ الذي شَاقَا
لُقيا الأحبَّةِ مَنْ شوقا جوَانِحُنَا ... تَهفُو إليهم ولا يُلْحَى من اشتاقَا
لقيا الأحبة من شادوا الذرى وصفوا ... سرَائِرا وسَمَوْا خِيما وأخلاقَا
لقيا بنِي الصيد من سادوا وما عرفوا ... في أي معتركٍ خاضُوهُ إخفَاقَا
ذَوِي الصدارةِ من أزدٍ ومن بِهِمُ ... قحطانُ ترفَعُ في الأَحسابِ أعناقا
المُبْهِرِينَ بمَا للفِكرِ مِنْ قِيَمٍ ... والمُرْهَفِين أَحَاسِيسا وأذْواقا
لم يحْنِ هامَاتِهِم عادٍ لهم ولهم ... تجلّة تُطرِقُ الهَامَات إطرَاقَـا
يهدي السلامَ لهم شعرِي ولا عجبٌ ... أن كان للنّخبة العُليا قد انسَاقَا
صِدقُ الخوَالجِ يُملِيهِ ويُلْهِمُهُ ... عُمقُ الوَشَائِجِ تَارِيخا وأعراقَا
فَانسابَ صفواً كما شَاءَ البيانُ لَه ... أن يستَوِي وَجرَى كالمَاءِ رقراقا
(عمان) يا منبتَ الأحرار من قدم ... ومن بدا فيه نجمُ السّعدِ ألاّقا
وَمَوْطِنا لَمْ تزَلْ تَعلُو مَنَائِرُهُ ... يَذْرُو علَيْهَا لِوَاءُ الحَقّ خفاقا
ذَا حاضِرٍ عَمّ فِيهِ الإزدهارُ كما ... عليهِ مدّ جَلاَلُ الأمسِ أرْوَاقا

(*) ألقيت هذه القصيدة فى مسقط بمناسبة تنظيم الاسبوع الثقافى التونسى.

ألقى الرّخاءُ ظلالًا في مناكبه ... وأغدقَ الخيرُ في واديه إغداقا
وألبسته النُّهى أسنى غلائلها ... وزادهُ اليُمنُ والإقبالُ إشراقا
يجني الثمارَ التي آنتْ لها أُكُلا ... ويكتسي من جميل الذكر أطواقا
ويبتني شامخاتٍ لا تطالُ ذُرى ... ويصطفي من حلى الفخرِ أعلاقا
العزّ أزهرَ في أرجائه وزها ... ودوحةُ المجدِ زادتْ فيه إيراقا
والحسنُ من سحرِه أضفى عليه سنى ... يسبي النّواظرَ وهّاجا وبرّاقا
في كلِّ مجلى تشدُّ العينَ رائعةً ... كانتْ على الهممِ الشّمّاء مصداقا
بدائعٌ تأسرُ الألبابَ ما برحتْ ... للبعثِ تفتحُ آفاقا وآفاقا
لا غروَ أن طاول الأفلاكَ بعدَ مدى ... وقدْ غدا لمراقي الفوزِ توّاقا
والشرقُ ذو مِرّةٍ لو أنّه اتحدتْ ... فيه القوى لبدا كالأمسِ عملاقا
له تدينُ شُعوبُ الأرضِ قاطبةً ... والحقّ يلقى لهُ مِنْ بعدُ إحقاقا
يُسلّ منهُ على الطُّغيانِ مُنصلتٌ ... يفري ويُخرسُ للبُطلانِ أبواقا
متى يُفيقُ من الاغفا؟ فماردُه الـ ... جبّارُ أغرقَ في الإغفاء إغراقا
فهل سيخلص من أرصادِ قمقمِه؟ ... وهل يرى بعدَ إصرِ الأسرِ إطلاقا؟

* * *

يا أيُّها السّادةُ الأقحاحُ من فتحوا ... من كلّ مستحكمِ الاغلاقِ أغلاقا
ما فيهم غيرُ ماضي العزمِ ذي شمم ... يسعى إلى أنبلِ الغاياتِ سبّاقا
إنّا عشقنا (عمان) المجد مؤتلقا ... وكم نزلْ ل(عمان) المجد عشاقا
جئنا إليها كما شاءَ الهوى وكما ... يقضي الهوى أن يرى المشتاقُ مشتاقا
ففي الحنايا حنينٌ أجّ واقدُهُ ... لكنّما لمْ يكنْ صدرٌ به ضاقا
من موطنِ ابن رشيقٍ حيثُ لا أحد ... عليه في (عمدة) للنّقد قد فاقا
من مجتلى (زهر الآداب) ينفحُ بالشـ ... ـذى ويهتزّ أغصانا وأوراقا
ومن حمى برزتْ فيه جهابذةٌ ... بالعلم هاموا وكانوا فيه حذاقا
أعطوا عطاء به نالوا الخلودَ وما ... ضنّوا بجهدٍ وأبقوا كلّ ما راقا

وَمَنْ دِيارِ بِهَا للفتْحِ مَلْحَمَةٌ ... لَوَى لها الدّهرُ آذانا وَأحْداقاَ
خاض الهِزَاهِزَ أهلوهَا فما انهزموا ... أوْ صدّهمُ عن مداهَا اللجّ دفّاقا
عَلَتْ بهم رَايَةُ الإسلاَمِ خَافِقَةَ ... وَمَا اشتكوْا نَصَبا يوما وَإرْهاقَا
جِئنَا من المغربِ الأدنَى نُصَا فِحكم ... ونستجدّ بكمْ عهدا وَمِيثَاقَـا
من تونس الأنس من مهد النضال ومن ... قرطاجَةِ الأمسِ أرْباضا وأسواقا
نزْجِي إليكمْ تَحِيَّاتٍ مُحَمَّلَة ... إلى حِماكمْ من الخَضْرَاءِ أشواقا
رَقَّتْ وَرَاقتْ كأنفَاسِ النسيمِ إذَا ... مَا الوَرْدُ ضَمَّخَهَا بِالطيبِ عبّاقا
يَا منْ حَلَلتُم قُلوبا قد صَفتْ لكم ... ومن سكنتُمْ سُوَيدَاء وَأعْمَاقا
وَإخوَة بَهَرَتْ آثارُهمْ وَسَمَتْ ... أقدَارُهُمْ وَعَلَوْا بِالفَخْرِ أعناقا
إنَّا لنَشْكُرُ مَا أوْليتمُوه لنَا ... من العنايةِ تكرِيما وَإرفَاقَا
وَسوفَ يبقَى لكُمْ ذِكرٌ نُرَدّدَه ... فنحنُ لم نكُ بِالنَّاسيهِ إطلاقَا
وَنرْتجِي أنْ نرَاكمْ في مَرَابِعِنَا ... تُضفُونَ منكم على الخضراءِ إشراقا

محمد مزهود القيرواني

محمد مزالي .. أدبه وفكره ..

بقلم : د. صلاح عدس
(القاهرة)

الاستاذ محمد مزالى أديب ومفكر أثرى حياتنا الثقافية فى تونس والعالم العربى بمؤلفاته العديدة وسنحاول هنا تلمس الملامح الهامة لأدبه وفكره من خلال استقراء ما كتبه فى مجلة « الفكر » وفى كتبه التى ابتدع بها أسلوبا أدبيا جديدا وتيارا جديدا فى الفكر العربى .

أولا : محمد مزالى الاديب والناقد :

يظن الكثيرون أن الادب هو فقط القصة والشعر والمسرح ويسمون ذلك باسم الاعمال الادبية الابداعية وهذا المفهوم الناقص يخرج من دائرة الادب كتابات مثل ما ألفه « الجاحظ » و « أبو حيان التوحيدى » ورسائل « ابن زيدون » ونثريات « أبى العلاء المعري » ... ولكننى أعتقد أن كل هذا هو أيضا أدب لكنه « أدب أفكار » ، وبهذا المفهوم نقول : إن محمد مزالى أديب لانه صاغ افكاره بأسلوب يتميز بالرقة والبلاغة والجمال ولم يستعمل الاسلوب الجاف الجامد الذى يلتزم به العلم والفلسفة التقليدية ... وإن كتابات محمد مزالى يمكن تشبيهها بكتابات أفلاطون مثل «الجمهورية» و «المحاورات».. ففيها عمق الفكر الفلسفى وفيها جمال الاسلوب الادبى .. وهنا نفرق بين كتابات « محمد مزالى » من جهة وكتابات « سارتر » و « ألبار كامى » من جهة أخرى فان كتابات سارتر وكامى هى أدب يحمل فكرة أو مضمونا فكريا أما كتابات محمد مزالى فهى أفكار صيغت فى أسلوب أدبى ..

وسنتحدث هنا عن فلسفة الفن عند كاتبنا ونتعرض أيضا لأبحاثه فى النقد الادبى ثم نتحدث أخيرا عن أسلوبه اللغوى معتمدين فى ذلك على كتبه بداية من كتابه : « الديمقراطية » الذى صدر عام 1955 ، وكتابه : « من وحي الفكر » الذى صدر عام 1968 ، وكتابه : « مواقف » الذى صدر عام 1974 ، وكتابه : « وجهات نظر » الذى صدر 1975 ، وكتابه : « فى دروب الفكر »

الذى صدر عام 1979 ، الى جانب ترجمته لكتابين من تاليف « شارل أندرى جوليان » وذلك بالاشتراك مع الاديب البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية وهما : كتاب : « تاريخ افريقيا الشمالية » ، وكتاب : « المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى » .

أما عن أبحاثه فى النقد الادبى فقد كتب محمد مزالى عدة دراسات فى النقد الادبى منها دراسته عن « البطولة فى الشعر العربى فى شمال افريقيا قديما وحديثا » ومنها دراساته المتعددة عن أبى القاسم الشابى الى جانب تعليقاته النقدية على الحركة الادبية المعاصرة فى تونس والتى كان له فضل الريادة فى بعثها وتنشيطها من خلال احتضانه للادباء الشبان منذ ثلاثين عاما حتى الآن أى من خلال مجلة « الفكر » التى ظل يصدرها منذ عام 1955 .. وتتميز دراساته وآراؤه النقدية بما يتميز به عامة من العمق والموضوعية والثقافية الموسوعية ..

اما عن اسلوبه الادبى فيتميز بالوضوح والبساطة وربما كان سبب ذلك هو وضوح الفكر لديه ووضوح الرؤية أمامه لذلك يعمد الى التعبير بلا تعقيدات وبلا غموض وإنما يصل الى قصده بسرعة من خلال بضعة كلمات قليلة دون أن يغرق القارىء فى ركام من الالفاظ ولذلك نجده لا يهتم بالبديع ولا بالزينات اللفظية التى ورثناها من العصر التركى المملوكى ، ولكن ليس معنى ذلك أن الجملة اللفظية لديه عارية من الجمال بل بالعكس يتميز أسلوبه بالرقة والشاعرية حتى أن المقالة عنده تشبه القصيدة النثرية من حيث تدفق الصور ومن حيث الايقاع الموسيقى الداخلى ولعل سبب هذا الجمال هو أن اللغة العربية بطبيعتها لغة شاعرية لعنايتها بالصور البيانية مثل التشبيهات والكنايات والاستعارات ...

ولنستمع اليه يقول فى تصويره لضياع الشباب فى بلادنا : « هم كالماء العذب يجرى فى الارض الملح أو الغيث النافع يمطر البحر » كما يتميز أسلوبه الادبى بكثرة استعمال الاشارات الادبية والاقتباسات من القرآن الكريم وكتابات الادباء القدامى وهذه الطريقة كان يعرفها الكتاب الاقدمون باسم التضمين مثلما نجد فى أسلوب « عبد الحمد الكاتب » و « ابن العميد » و « ابن زيدون » والغريب ان نفس هذه الطريقة هى المعروفة الآن باسم « تكنيك إليوت » نسبة للشاعر الامريكى « ت. س. إليوت » الذى كان يملأ شعره بالاقتباسات من أشعار وأقوال السابقين ...

وقد عرف تاريخ الادب العربى قسمين من الكتاب ..

أولهما : الاسلوبيون الذين يعتبرون الكلمة هي وحدة الكلام لذلك يهتمون بالبديع أى باللفظة كوحدة زخرفية وذلك بداية من ابن العميد حتى المنفلوطى.

أما القسم الثانى : فيهتمون بالفكرة أى بالجملة كوحدة بلاغية وذلك بداية من الجاحظ حتى العقاد والحكيم ومحمد مزالى ..

أما عن فلسفة الفن عند كاتبنا فان علم الجمال أو « الاستاطيقا » هو مبحث قديم فى الفسفة منذ أيام الاغريق .. فنجد مثلا « هيراقليطس » يرى الجمال مسألة نسبية لانه يرى أن جوهر الكون هو التغير والتحول والتبدل أى أن هيراقليطس لا يفصل بين الظاهرة الجمالية ونظام الكون ككل بينما نجد « سقراط » يربط بين الجمال والقيمة الاخلاقية فالجميل عنده هو ما يفيد وينفع وقد سار « أفلاطون » على دربه ووضع نظرية « المثل » التى قللت من قيمة المعرفة الحسية واعتبرت الحقيقة الثابتة كامنة فى عالم المثل أى عالم الافكار الذى يدرك بالعقل لا بالحواس واعتبر افلاطون أن الاشياء الموجودة فى عالمنا هى ظلال لعالم المثل وانالفن بمحاكاته لهذه الاشياء وتصويرها إنما يقلد هذه الظلال ولذلك فهو عمل زائف .. وهكذا نبذ أفلاطون الفن بل طرد الشعراء من جمهوريته وجعل السيادة للمفكرين والفلاسفة ..

وبعد ذلك نجد فى العصر الحديث « روسو » يرجع المادة الجمالية الى الطبيعة أما « هوبز » فقد اهتم بالجانب الاجتماعى لتحديد القيمة الجمالية وأكد على نسبية مفهوم الجمال ... أما « كانت » فيرى أن الحكم الجمالى غير منطقى وإنما هو حدسى متصل بالذات وسعى الى فصل البحث الجمالى عن الاخلاقى وعن نشاط الانسان العملى مما جعلنا نقول : إنه بذلك قد وضع حجر الأساس لمدرسة الفن للفن ... أما « هيجل » فقد وضع نظرية فى « الاستاطيقا » أساسها أن الفن يربط العالم الخارجى والمحسوس بالفكر الخالص المطلق..وكان « هيجل » يريد القول بأن الفن يحقق التوفيق بين التعبير الحسى عن المطلق وبين كيان المطلق فى حد ذاته أى يحقق الوحدة بين الطبيعة من جهة وبين الفكر الانسانى من جهة أخرى ...

وهكذا نجد أن علم الجمال أو « الاستاطيقا » قد ارتبط عند كثير من الفلاسفة بالمفاهيم الاخلاقية والدينية والاجتماعية والسياسية فماذا يقول محمد مزالى عن علم الجمال وفلسفة الفن وجماليات الادب وطبيعته ووظيفته وعلاقته بالمجتمع ؟...

يقول محمد مزالى عن طبيعة الخلق الادبى وعلاقة الاديب كذات معبرة بالعالم الخارجى وذلك فى كتابه « مواقف » :

« إن الاديب يتبنى الكون ويتطلع الى ما فيه فتدوى به نفسه ثم اذا هو يعبر عن ذلك تعبيرا ذاتيا مصطبغا بروحه وبشعوره ونظرته للحياة » وكاتبنا هنا يطبق فلسفته فى نظرية المعرفة عن العلاقة التفاعلية بين ذات الانسان وبين العالم الخارجي ..

ويقول محمد مزالى أيضا : « إن أول ما يشترط فى الاديب هو أن يكون صادقا ذاتيا ولذلك نراه يرفض أدب الشعارات والادب الموجه والادب الهاتف أو ما أسموه بالادب الهادف ، أى الخاضع لايديلوجية دعائية وليس معنى ذلك أن كاتبنا يدعو الى « الفن للفن » أو أدب الابراج العاجية وانما هو يرفض ذلك أيضا وفى ذلك يقول فى كتابه «من وحي الفكر» : « لسنا ممن ينكرون تضامن الاديب مع عصره وبيئته أو ينادون بأدب الابراج العاجية لكن الذى نعنيه هو وجوب التمييز بين الادب فى جوهره وبين الشـؤون السياسية العـارضة والشعارات الزائلة والاحداث الطارئة .. بين أصالة الخلق الادبى وبين الجعجعة والتصفيق الأجوف » .

وكاتبنا بذلك يؤمن بالتزام الاديب لكنه عنده التزام حر لا إلزام فيه ولا حجر عليه وفى ذلك يقول فى كتابه « وجهات نظر » عن الاديب : « فهو حـر ولكنه مسؤول لا يليق به أن يبقى فى غفلـة عن قضايـا التقـدم ومكـافحة الاستعمار والميز العنصرى واستغلال الانسان لأخيه الانسان » .

ويقول كاتبنا أيضا فى كتابه مواقف عن وظيفة الكاتب : « هـو يسمى الاشياء بأسمائها ويكشف عنها فيؤثر فى مواقف الناس وفى علاقات الناس بعضهم ببعض وإذن فهو مسؤول عن كل ما يقول أى عن كل ما يفعل وحتى عما لم يقل » .

ويحدثنا عن حرية الكاتب فيقول : « إن الحرية ليست شيئا تجريديا مطلقا ماورائيا » ويحدثنا عن وظيفة الكاتب فيقول فى كتابه «مواقف» : « إن عمله مضن حقا فهو فى أول الامر ملاحظة وكشف وتقرير وهو بعد ذلك تقـويم وتعبير » .. ويهاجم كاتبنا الواقعية الاشتراكية مدافعا عن حـرية الاديـب فيقول : « إن الادب مشروط بحرية الاديب ولا يستطيع الناس تقييده بدعوى تقييمه ولا الحكم له أو عليه انطلاقا من أفكار جاهزة وأحكـام مسبقـة » (*) كما يرى كاتبنا أن الادب ملحمة وليس مـأساة وفى هـذا تطبيـق لنظـرته التفاعلية للانسان ودوره فى الصراع من أجل تغيير العالم أما اعتبار الادب

(*) كتاب : « مواقف » ص : 103 .

مأساة فهو نظرة تشاؤمية واستسلام للقدرية ونفى لحرية البشر واقرار لتفاهتهم أما كاتبنا فيرى أن الادب ملحمة لان وظيفته الفعل ولانه تعبير عن كفاح الانسان وصراعه فى سبيل حياة أفضل وهذا ما يقوله كاتبنا فى كتابه من « وحي الفكر » (*) .

ثانيا : محمد مزالي المفكر :

إن محمد مزالي مفكر لكنه ليس صاحب مذهب جامد أو نسق فلسفي محدد لانه أصلا يرفض المذهبية ويرفض الدوجماطيقية ويرفض الحلول الجاهزة المستوردة والافكار المسبقة .. ولكن فلسفة محمد مزالي هى رؤية للحياة والواقع وهى منهج للتفكير وهى مواقف .. فمحمد مزالي فى كتاباته وحياته له مواقف موحدة من قضايا الانسان والحرية والدين والعلم والادب والثقافة والحضارة .. وكل هذه المواقف فى مجموعها تشكل رؤية واحدة تجعل من محمد مزالي فيلسوفا لتونس وحزبها الاشتراكى الدستورى بل فيلسوفا للحضارة العربية الاسلامية لان هذه الرؤية الشمولية لديه هى رؤية عربية اسلامية المنظور ...

وإن كتابات محمد مزالي تدخل فى باب الفلسفة لانها تعالج موضوع القيم وهو الموضوع الذى اختصت الفلسفة ببحثه منذ نشأتها عند الاغريق وأقصد بذلك قيم الحق والخير والعدل والجمال .. أما الحق فيبحثه المنطق بداية من المنطق الصورى عند أرسطو حتى المنطق الوضعي وأما الخير فهو مبحث «الأخلاق» وأما العدل فهو مبحث « السياسة » وأما الجمال فهو مبحث فلسفة الفن ..

وإن فلسفة محمد مزالي هى ثورة على الجمود الفكرى ودعوة الى الذاتية والى روح المبادرة والى تأمل الواقع والبحث عن حلول جديدة ومتغيرة بتغيره لا الاتيان بحلول جاهزة من الخبير الاجنبى سواء كان « ماركس » أو غيره .. وهكذا يحاول محمد مزالي اخراج تونس والعالم العربى من السلاسل الفكرية ومن كهف أفلاطون كى يرينا شمس الحقيقة وطريق الحضارة الجديدة وإن الموقف الفلسفى عند محمد مزالي يهدف أساسا الى خلق الانسان التونسي والعربى الجديد الذى يستطيع بناء حضارة جديدة وعموما فان الرؤية الفلسفية عند محمد مزالي يمكن تسميتها باسم النظرة أو النظرية التكاملية .. والتكاملية كما قلنا هى نقيض النظرة الاحادية التى يعانى منها عالمنا العربى

(*) كتاب : « من وحي الفكر » ص : 207 .

حتى على مستوى تفكيرنا الفردى فى حياتنا اليومية... وهذه النظرة التكاملية تتضح فى رؤية محمد مزالى للواقع وللانسان وللحضارة وللوحدة العربية .. أما رؤيته التكاملية للواقع فجوهرها أن هذا الواقع يحتوى على التعدد ولكن بلا تناقض فهناك متعددات ومتغيرات ولكن هناك وحدة وهو بذلك يخالف كارل ماركس فى نظرته الديالكتيكية بينما يقترب من الحقيقة العلميـة التى اكتشفها العالم «أنيشتين» عن وحدة الطبيعة ... أما النظرة التكاملية للانسان عند محمد مزالى فهى أن الانسان ليس مجرد جسد مادى وانما هو أيضا روح فهو فكر ومادة فى آن واحد وبذلك يحل الثنائية والازدواجية التى شغلت تاريخ الفلسفة عند المثاليين والماديين .. وربما كانت هذه النظرة الواقعية التكاملية للانسان قد أخذها محمد مزالى عن الاسلام لان الاسلام ينظر للانسان نظرة متعادلة تنظم مطالبه الجسدية والروحية ..

كما تتضح النظرة التكاملية أيضا فى فلسفة الحضارة عنـده وذلـك لان الشرق الآن يملك الدين فقط بينما الغرب يملـك العلـم .. ونجـد العـرب والمسلمين قد انقسموا الى فريقين لكل منهما نظرة أحادية ففريق يرى التمسك بالدين فقط وذلك باسم الاصالة والفريق الآخر يرى التمسك بالعلـم فقط باسم المعاصرة وكل فريق منهما يرى بنظرته الاحادية الفقطية أنه السبيـل الوحيد للحضارة .. أما مفكرنا فيرى بنظرته التكاملية وجوب الاخذ بالدين والعلم معا أى الاصالة والمعاصرة معا من أجل بناء حضارة جديدة ...

وتتضح النظرة التكاملية أيضا فى المفهوم الجديد الذى قدمه لنا عن الوحدة العربية فهى وحدة تعترف بالتعدد أى أنها تكاملية لا أحادية أى لا سيطرة فيها لدولة واحدة أو زعيم واحد على الكل أى أنها أمم فى أمة لا أمة فى أمم وذلك على حد تعبير البشير بن سلامه وهذا هو المفهوم الجديد الذى تقـدمه تونس عن الوحدة .

كانت هذه لمحة سريعة عن أهم الملامح المميزة لادب وفكر محمد مزالى التى تضيف فى تونس اسما جديدا الى الاسماء القديمة فى المغرب العربى : ابن خلدون وابن رشد وابن رشيق وابن طفيل وابن هانىء وغيرهم من الادبـاء والمفكرين الذين أثروا الوجدان العربى وحركوا العقل العربى وساهموا فى صنع ثقافة وحضارة تونس والمغرب والعالم العربى والاسلامى ..

د. صلاح عـدس
(القـاهرة)

تحية حُبّ ووفاء للضّيف الثّقافي التونسيّ

شعر: سالم علي الكلباني
(عُمان)

من هضابِ المُنى أطلّ علينا ... زائرا يَحملُ السرورَ إلينا
جاءَ بالحبِّ صادقا من بلاد ... عَيَّنتْ حبّها سفيرا لدينا
أيّ ضيفٍ ترى ؟ أروحٌ كريمٌ ... أنزلته السماءُ بين يدينا
أم صبَا تونس الشقيقة هذي ... هَدْهَدَت بانسيابها رئتينا
يا إلاهي، لقد تحقَّقَ حُلْمٌ ... طالما باتَ في رؤى بَلَدَينا
كَرُمَ الدّهْرُ بعد بخل فأهدى ... خير شيءٍ لديه كنّا ابتغينَا
جَمَعَ الشمل بالأحبة جمعا ... زاد تاريخنا على الزين زينا
فعلى الرحب والسرور وأهلاً ... بوركت بقعة عليها التقينا
انه يومَ سعْدِنا ومُنَانا ... بعد أن كانَ حالنا بين بينَا
فلنُسجلْ هذا اللّقاء علينا ... في سجلّ المعروف للدهر دَيْنا
كونكم بيننا أجاز لنا أن ... نعتلي في افتخارنا فاعتلينا
ما حللتم «عُمَان» حتى شعرنا ... أن ملك الحياة في راحتينا
منذُ دهرٍ ونحن نهفو إليكم ... أين كنتم بالله يا ناس أينا ؟
ما الذي تحملونه من هدايا ... ينبغي أن تروقَ قلبا وعينا
أتحفونا بفنّ تونس إنّا ... مثله في حياتنا ما رأينا

(*) ألقيت هذه القصيدة بمناسبة الاسبوع الثقافى التونسى فى مسقط .

نظرات في الفكر التونسي الحديث

بقلم : د . مختار الوكيل
(القاهرة)

كان لكاتب هذه السطور شرف زمالة أبى القسام الشابى على صفحات مجلة ابوللو . فى الثلاثينات . كان حينذاك فى مطلع الشباب لم يتجاوز العشرين من عمره الا بسنوات قلائل وكذلك كنت أنا لم اتجاوز العشرين بعد والحق ان ابوللو (الجماعة والمجلة) قد اكتشفت وجلت للعالم الادبى والفكرى الكثيرين من نوابغ الشعراء والادباء فى مصر والعالم العربى من من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمد الهمشرى وصالح جودت ومحمود أبو الوفاء وفوزى المعلوف والياس فرحات والشاعر القروى ومحمد الحليوى ... الخ .

ولقد كان شعر أبو القاسم الشابى العاطفى والوطنى والقومى نغما رائعا مستساغا اقبلت عليه جموع الشباب العربى فى لهفة وشوق عظيمين . وسرعان ما رددت جموع الشباب نغمات الشابى القوية فى حماسة وحب بالغيين .

ومن من شباب العرب لا يردد حتى اليوم قول الشابى :

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر ؟

ولقد ترك لنا « الشابى » يومياته الثاقبة وهى تتضمن آراءه العميقة فى الادب والفكر العربى وفى طائفة من اهل الادب والفكر فى مختلف ارجاء الامة العربية ولا سيما الادباء المصريين وهو يبدى اعجابه الكبير بالمازنى القصاص ولا سيما فى (حصاد الهشيم) كما يبدى اعجابه بالعقاد العملاق (الذى يمشى بخطوات الجبابرة) .

ولقد القى الشابى فى تونس محاضرة عن (الخيال الشعرى عند العـرب) عام 1929 م ثم نشرها بمجلة (ابوللو) عام 1932 . وخلاصتها : (ان عدم اطلاع العرب على آداب الامـم الاخرى كـان ذا اثر عميق فـى ابقاء الروح الشعرية العربية على حالها فى جميع الاجيال زيادة على تلك الدعايات المتكررة التى قامت بها طوائف النقدة (النقاد) فى جميع العصور وعلاوة على ما حمل تاريخ هذه الامم والشعوب من ذلك الميراث الروحـى الذى خلفه العرب لاحفـادهم وقد تالفـت هذه العوامل الثلاثة علـى ابقاء ذلك المزاج العربى الصميم فـى نفسيات الامم الاسلامية وعلى طبع آدابها بالطـابع الـذى انطبـع بـه الادب الجاهلى من قبل » .

ولقد نشرت لـى مجلة « أبوللو » كلمة عن تلك المحاضرة عـام 1933 رد عليها ابو القاسم الشابى ولكنه لم يلبث ان لقى ربه فى الخامسة والعشرين من عمره وكان شابا عبقريا يرجى منه الخير الكثير للامـة العـربية قـاطبة والذى لا شك فيـه أن أبا القاسم الشابـى ومحمد الحليوى أديب القيـروان « الكبير وزين العابدين السنوسى واصحابهم الرواد قد نهضوا فـى مطلـع الثلاثينات من هذا القرن الميلادى وما قبله بتلك الحركة الرائـدة العظيمـة واطلقوا تلك الصيحة المدوية التى مهدت الطريق للنهضة التونسية الرائعة . ولا شك ان الحبيب بورقيبة الزعيم التونسى العظيم كان له الفضل الكبيـر فى اذكاء جذوة النهضة الفكريـة حينذاك ولقـد سبق أن نوهـت فى كلمـة سابقة (1) انه كان فى طليعة اولئك الذين استمعوا الى محاضرة الشابى عن (الخيـال الشعرى عند العـرب) وكان من بعد ذلك راعيا للنهضة الفكريـة والادبيـــة .

والحق أن النهضة الادبية والفكرية التونسية أخذت تزدهر وتترعرع مـع حركة التحرر الوطنى من ربقـة الاستعمار الفرنســى ولقـد ظهـرت مجلـة « الفكر » التونسية الشهيرة الى عالم الوجـود عـام 1955 م ومؤسسها هـو الرائد الكبير الاستاذ محمد مزالـى الوزير الاول ورئيس اتحـاد الكتـــاب التونسيين سابقا وهذه المجلة تحتضن الحركة الادبية والفكرية فـى تونس وتنشر للاقلام العربية الناهضة لكل بقاع الامة العربية والاستاذ محمد مزالى أديب متمكن وخطيب مؤثر وكاتب مبدع مجدد وهو يرعى الحركـة الادبيـة

(1) جريدة (الجمهورية) القاهرية بتاريخ 23 أوت 1984 .

التونسية حق رعايتها ويرى ان ادباء تونس (لا يعانون مركبات نقص ازاء الشرق او الغرب لانهم يؤمنون بأصالة التربة التونسية وخصبها ويؤمنـون أيضا بأن أجل عمل يقومون به لتغذية الادب العربي واثراء التراث الانساني انما هو الاستمداد من بيئتهم هم والاستيحاء من نماذجهم القومية والانتساب لعبقرية قومهم وروحهم .)

وهذا هو ما وجدته في معظم انتاج أدباء تونس ومفكريها المعاصرين فهذا الاستاذ البشير بن سلامه رئيس تحرير مجلة الفكـر التونسية وهو أديب قصصي نابه ونابغة لا بد من التنويـه بروعة قصصـه ولا سيما فـي روايته (عائشة) التي تحكى قصة فتاة (عاشت في خضم من الاحداث القاهرة تتقاذفها امواج مجتمع متقلب مهزوم اضاع فيه افراده كل توازن وعائشة يشدها الى أشخاص الرواية اكثر من رباط . وتترجم فـي مأساتها عن منزلة المرأة فـي المجتمع) .

والحق ان الاستاذ البشير بن سلامه قصاص نابغة ويتجلى ذلك للقـارىء في أروع صورة في مجموعته (لوحات قصصية) ولا سيما فـي تلك اللوحـة الادبية الرائعة (صفارة جحا) وهي تنطوى على روح السخرية والدعابة فـي أسلوب عذب ولغة عربية جميلة .

والحديث عن البشير بن سلامة يستوجب ان نتحدث عن ابحاثه اللغويـة الممتازة فهو من أولئك الكتاب البـاحثين الممتـازين الـذين اثـروا المكتبـة العربية بابحاثهم اللغوية وله بحث طريفعن (اللغة العربية ومشاكل الكتابة) صدر عام ١٩٧١ م كما صدر له أخيرا كتاب هام هو (نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى) وقد انتهى فيه الى أن (كل كاتب او شاعر او مبدع طور الجملة في النثر او فـي الشعر انما قدر على ذلك لانه وفق الـى ان يطعم الفصحـى بايقاعات لهجته العامية وان قضية الابداع فـي الكتابة انما هي هذا التفاعل بين ايقاعات العـامية والفصحى وان قضية الشعـر العـربي من حيث الشكل ليست في التفعيلة او غيرها بل تكمن في البحـث عن الوحدة الايقاعيـة) . وهذه نظرية جديرة بالرعاية والاهتمام وارجو ان أتمكن من العودة الـى هذه الرسالة بالاسهاب في بحث واف .

ومن ادباء تونس اللامعين النوابغ الاستـاذ رشيد الذوادى الـذى اصدر العديد من الدراسات الادبية القيمة ، وقد استفدت فائدة كبرى من بحثه الممتاز

عن (مدينة بنزرت) وعن تاريخها وعمائرها وشخصياتها المشهورة ومن كتبه المعروفة كتابه (ادباء تونسيون) وفيه يتحدث عن رواد الفكر والادب في تونس امثال مصطفى آغا ، وسعيد أبي بكر ، ومحمد بوشربية ومحمد الشاذلي خزندار ، والبشير الفورتي ، وزين العابدين السنوسي ، وحسن حسني عبد الوهاب . وهو مورد في الفصل الذي عقده عن الشاعر السياسي محمد الشاذلي خزندار قصيدته الوطنية الرائعة ضد الحماية الفرنسية قبل الاستقلال وفيها يقول .

نصبوا الحماية وهي شان كرام — وتظاهروا بالعدل والاحكام
وتكفلوا برعاية الاقوام — فاذا الحماية مصدر الاسقام

قل هكذا بالله شان الحامي

اين التجارة والزراعة والحرف — اين التمدن والوظائف والشرف
لم نلق الا الاجنبي بها اتصف — دون الاهالي شان من هم استخف

هل هكذا بالله شان الحامي

اين التساوي في الحقوق واينا — نشر التمدن يا حماة علينا
لم يكسب الاهل الا الدينا — يكفي الفرنسي ان يقول حمينا

قل هكذا بالله شان الحامي

وكان قد استقبل الرئيس بورقيبة عند عودته من مصر عام 1949 بعد اقامته فيها اربعة اعوام معززا مكرما بقصيدة قال في مطلعها .

وفاك من ترك السياسة جانبا — واتاك لا متحزبا بل صاحبا
وافى الحبيب مؤملا تحقيق ما — يرجو لتونس ظافرا لا خائبا

والطريف أن الشاعر خزندار اطلق عليه لقب امير الشعراء في تونس كما اطلق على أحمد شوقي في مصر .

ومن أبدع فصول كتاب (ادباء تونسيون) ذلك الفصل الذي خصصه الكاتب للاستاذ البحاثة الكبير حسن حسني عبد الوهاب الذي كان عضوا في مجمع

اللغة العربية منذ انشائه وقد توفى عام 1968 وقد تحدث الكاتب الفاضل عن انتاج حسن حسنى عبد الوهاب الغزير ذلك الانتاج الذى تميز بالاصالة وحب التراث مع التفتح على ثقافة غربية ومع نظرات انسانية . وكان الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ممن يؤمنون بوجوب النظر والبحث في آداب الشعوب على اختلافها لان ذلك من أهم الوسائل لفهم تاريخها السياسى والاجتماعى والاخلاقى . وأكرر القول بأن هذا الكتاب «ادباء تونسيون» من الكتب القيمة المفيدة .

هذا وتونس تضم اليوم طائفة من الادباء الممتازين الاجلاء منهم من يجيدون كتابة القصة أمثال العروسى المطوى ونعيمة الصيد ومنهم الشعراء النابهون أمثال : احمد الغمانى والطاهر الهمامى وعبد العزيز قاسم والصادق شرف وجعفر ماجد ، ومنهم النقاد البارعون أمثال : الحبيب الجنحانى وعز الدين المدنى وسوف أعود لهم دارسا باذن الله في القريب .

د. مختار الوكيل
(القاهرة)

من مكتبة الدراسات التونسية

مواقف فكرية معاصرة في الادب والنقد والاجتماع

تاليف : أبو زيان السعدي

الوعي بحركية الزمن في الادب العربي

عند :

التوحيدي ، المعري ، إخوان الصفا ، الحكيم ، المسعدي

تاليف : محمد موسى بن عمر

زِيـــاد ..

شعر : جعفر ماجد

إنّي أحبك يا زيادْ (*) حُبّاً لغيرك لا يعادْ
ماذا أعبّرُ عن هوى جهل العدالة والحياد
وطغى على ما قَبْلَهُ واحتلّ أعماقَ الفؤادْ
هذا أبوك مُسَلِّمٌ فَكَمَا أردتَ له أرادْ
مُرْهُ تجدْهُ مطاوعا للأمر ينقاد انقياد
لا يستطيعُ تنقُّلا من غير إذنك يا زياد

* * *

تلك التحية ما ألذّ فصولها تلك التحيّهْ
تجري ورائي باكيا حتى تؤدّيها إليّهْ
بيد تلوّحُ تارة وفم يقول : « اقعد شويه »
وتعيدُها كم مرة ! وترددها كلتا يديّه
فإذا اختفيتَ وخلتُني حُرّاً قضيت لك [!] ما عليّهْ
فاجأتني بإعادةٍ ووجدتُها أحلى لديّه

* * *

يا أيُّها الحبّ الذي أخشى عليه إذا نما
إن الطفولة مطلبي وبها ظللت متيّما
فإذا أطلّ مزاحم فيها .. بقيت مقسّما
وخشيت أن يحظى الصغير وأن أجور وأظلما
وأكون فيها قُلّباً وأخون حبي مرغما
فأنا حرمت طفولتي وبحبكمْ لن أحرما

* الى ابني زياد في عيد ميلاده الخامس .

تونس زاخرة بالقيم والمطلوب الحفاظ عليها

بقلم : د. عبد المجيد رزق الله

أثارت افتتاحية العدد الاخير من مجلة الفكر موضوعا هاما جدا ، وهذا الموضوع يشغل البال لما له من انعكاسات على المجتمع اذ عليه يتوقف استقرار البلاد ومستقبلها والاستقرار ليس هو الجمود بل المقصود منه هو الاستقرار الحي حتى يتمكن المجتمع من النمو والتقدم على اسس حضارية متينة ومزدهرة .

والموضوع الذى اثاره الاستاذ البشير بن سلامة كاتب الافتتاحية ودعا الى مناقشته هو موضوع « سلم القيم وقانون القطيع » ، والشيء الذى يمكن قوله فى هذا الشان هو : إنه اذا كان سلم القيم فى بلدان العالم الثالث – ومن بينها تونس – عرضة للخلل والاضطراب ، فانما جاء ذلك بسبب التنمية نفسها ، وبسبب وسائل النقل والمواصلات ووسائل الاعلام بمختلف أنواعها المكتوبة والمسموعة والمرئية ، تلك الوسائل التى قربت بين كل شعوب المعمورة ، وجعلت ما يحدث فى بلدانها ينتقل بسرعة وبدون حاجز فعال . ومن بين ما ينتقل بين البلدان والشعوب ما هو ايجابى ، ولكن هناك ما هو سلبى ، ويتمثل فى المغريات المادية بمختلف انواعها على حساب الادبيات والاخلاق ، وعلى حساب الكرامة الانسانية .

وبما ان الانسان لا يمكن ان يعيش فى عزلة تامة عما يجرى فى العالم ، فانه لا بد من الوقاية من المغريات والتأثيرات السلبية . ولا سبيل الى ذلك الا بالرجوع الى القيم ، واحيائها ، والحفاظ عليها ، وتذكيتها بالقدوة الحسنة وبالعمل الصالح وبالابداع الذى يهدى القلوب ويهذب العقول .

ولنا فى تونس وفى نضالها من اجل التحرر والانعتاق من اجل البناء والتشييد ومن اجل الحفاظ على الاستقلال والمناعة ، زاد زاخر بالقيم ، لا بد من الرجوع دائما اليها ، والتذكرة بها والعمل بمقتضاها لانها وحدها الكفيلة بتلافى قانون القطيع الذى يتنافى مع انسانية الانسان .

ما من شك فى ان الفوضى فى القيم غيرت سلوك الناس وجعلت الشباب فى حيرة دائمة وفى دوامة من « الفراغ القيمى المهلك » كما يقول الاستاذ ابشير بن سلامة ولوضع حد لهذه الفوضى ليس من سبيل الا بالرجوع الى الاصالة ، والارتواء من معينها ، والانتعاش بها ، حتى يعود الوعى ، ويعوض اليقين الشك والامل اليأس والعمل التقاعس .

حقا ان المجتمع اليوم فى ازمة ، وهذه الحالة تدعو الى تشخيص الداء وبالتالى وصف الدواء المناسب ـ والازمة نابعة اصلا من الحاجة ، بالنسبة للكثرة من المواطنين ومن الجشع بالنسبة للقلة منهم ـ وهى نابعة أيضا من عدم الاعتدال فى الطلبات ، والسعى الى الحصول على هذه الطلبات بشتى الطرق والوسائل من حلالها وحرامها .

ولا بد من التذكير بأن الكرامة التى ما انفك المجاهد الاكبر يدعو اليها ، والتى كانت الدافع لربح معركة الحرية والاستقلال ، هى التى يجب ان تبقى الدافع لاستئصال جيوب الفقر والحرمان ـ وان التضامن القومى يفرض احلال روح التعاون محل آفة الانانية ، كما يعرض مقابلة المطالبة بالتمتع بالحقوق مع القيام بالواجبات .

كما يجب غرس عقلية حب العمل ، والاتقان ، لتوفير الانتاج والثروات والخيرات مع الحرص على عدالة التوزيع ، وذلك يقتضى علاقات اجتماعية قوامها تكافؤ الفرص ، والمساواة ، تلافيا لروح البغضاء والحقد ، مما يؤول الى عدم الاستقرار والى شر الانتفاضات .

والى جانب ذلك يجب ان تصبح قيمة الانسان بقدر عمله ، ويصبح التفوق فى العمل والابتكار ، هو المثل الذى يلهم المواطنين . ولكى يحترم

العمل يجب ان يصبح هو أساس التقييم ، وليس هناك أساس آخر ، مثـل الثروة والجاه والمحسوبية « والاكتاف » .

ولا يحصل ذلك الا باعطاء المثال ، والقدوة الحسنة وبالاستفادة الواعية من التغييـرات الاجتماعية والاقتصاديـة ، فبقدر مـا يشعر المواطنون فـى حياتهم العادية اليومية بأن الاوضـاع الواقعيـة فى المجتمع قد تغيرت مـن حولهم ، يعمدون الى تغيير قيمهم وسلوكهم حتى يتماشـى مع الوضع الجديد

هذه بعض القيم التـى يجب أن تصبح منتشـرة ومغروسـة وراسخة فى تصرفات كل مواطن، والا ساد قانون القطيع أوقانون الغاب (La loi de la jungle)

واصبح « حوت يأكل حوت وقليل الجهد يموت » كما يقول المثـل العامـى .

خلاصة القول : إنه لنا فى تاريخنا البعيد والقريب ، وفى نضالنا من أجل الحق والعدل والخير ، وفى ديننا الاسلامـى الحنيف من القيم الساميـة مـا يحمل على حب الحياة وحب الناس واشاعة العدل والمساواة والاخاء .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (صدق الله العظيم) •

وكمـا قـال الشاعـر :

« انما الامم الاخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا »

د. عبد المجيد رزق اللـه

نقـرأ فى العـدد القـادم

عبـر مشـرقية للـوحـدة المغـربيـة

بقلم : د. محمد فاضل الجمالى

مُجيب الدّعاء ..

شعر: نور الدّين صمّود (*)

يا أيُّها النّاس كم دعَوتُم! وكم　　رَجَوتُمُو اللهَ كي يرُد العِقابْ!
يا مُنزِلَ القطْرِ في الصّحارَى التي　　من شوقِها للمِياهِ تُبدي السّرابْ
ومُنجِيَ الضّائعينَ في أبحُرٍ　　صاخِبةِ الموج ثائراتِ العُبابْ
أيّدْتَنا في جِهادِ أعدائِنا　　بحكمةِ الشيخ وانْدِفاعِ الشبابْ
أرْسلتَ سِرًا في جيشِ منْ آمنُوا　　ملائكًا بالسُّيوفِ أوْ بالحِرابْ
فاستَغْفِرُوهُ فإنّهُ غافِرٌ　　وعَطفُهُ شامِلٌ يُزيلُ العذابْ
ولْتذْكرُوهُ وَفكرُوا دائما　　(إذْ تستَغيثُونَ ربّكم فاستجابْ)

(*) من مجموعة شعرية تحت الطبع بعنوان « من وحى القرآن » .

الشعر في نظر ابن خلدون

بقلم : الحبيب الشاوش

اعتمدنا في درس هذا الموضوع على سبعة فصول خصصها ابن خلدون للحديث عن الشعر ، اجمالا وتفصيلا ، وهي الفصول السبعة الاخيرة من «المقدمة» (I) ، وهي في الواقع ثمانية فصول باعتبار الفصل السابع منطويا على فصل غير مرقم أدرج ضمن الفصل الاخير وهو — كما يحلو لابن خلدون أن يقول : « تبع له وفرع عنه » ، وكأننا بصاحب المقدمة أراد أن تكون هذه الفصول الخواتم «مسك الختام» لكتابه هذا نظرا لما تضمنته من سعة الملم بموضوع الادب عامة والشعر خاصة ، وعمق نظر وحصافة رأى في فنى : المنظو والمنثور مع تركيز على الشعر قوام الادب بالدرجة الاولى — أى قبل النثر — كما ورد ذلك في تحديد مفهوم الادب على لسان ابن خلدون : «... الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والاخذ من كل علم بطرف ...» (2)

أما الفصول الخواتم التي خصصها للحديث عن الشعر فهي :

I) **الفصل الرابع والاربعون** : « في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر » (ص ص 566 — 568) .

2) **الفصل الخامس والاربعون** : «في أنه لا تتفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور معا الا للاقل (ص‌ص 568 — 569) .

(I) اعتمدنا الطبعة الحديثة للمقدمة (منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، بلا تاريخ) .

(2) انظر : «المقدمة» ، ص 553 .

3) **الفصل السادس والاربعون** : «فى صناعة الشعر ووجه تعلمه (ص ص 569 – 577) .

4) **الفصل السابع والاربعون** : «فى أن صناعة النظم والنثر انما هى فى الالفاظ لا فى المعانى» (ص‌ص 577 – 578) .

5) **الفصل الثامن والاربعون** : «فى أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ» (ص‌ص 578 – 580) .

6) **الفصل التاسع والاربعون** : «فى ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر (ص‌ص 580 – 581) .

7) **الفصل الخمسون** : «فى أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد» (ص ص 582 – 583) .

ونظرا الى سعة هذا الموضوع وما أورده صاحب المقدمة من كثرة التفاصيل والجزئيات فى شأنه فقد رأينا الاختصار ، والاقتصار على أهم محاوره وخطوطه الرئيسية الكبرى ، مع الحرص على اعطاء فكرة شاملة محوصلة لمختلف جوانبه ونواحيه .

◆ **مفهوم الشعر** : لم يقدم لنا ابن خلدون تحديدا دقيقا لمفهوم الشعر على الاطلاق وانما تقيد فى ذلك بالشعر العربى مع تلميح خفيف الى الشعر عند سائر الامم ، يقول صاحب المقدمة فى (الفصل السادس والاربعين ص 569) : «هذا الفن من فنون كلام العرب ، وهو المسمى بالشعر عندهم ، ويوجد فى سائر اللغات الا أننا الآن إنما نتكلم فى الشعر الذى للعرب فان أمكن أن يجد فيه أهل الالسن الاخرى مقصودهم من كلامهم ، والا فلكل لسان أحكام فى البلاغة تخصه ، وهو فى لسان العرب غريب النزعة ، عزيز المنحى ، اذ هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه رويا وقافية ، ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة ، وينفرد كل بيت منه بافادته فى تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده ، واذا أفرد كان تاما فى بابه فى مدح او تشبيب او رثاء ، فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل فى افادته ، ثم يستأنف فى البيت الآخر كلاما آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطىء المقصود الاول ومعانيه الى أن تناسب المقصود الثانى ويبعد الكلام عن التنافر

كما يسترد من التشبيب الى المدح ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والعزاء فى الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك ، ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها فى الوزن الواحد حذرا من أن يتساهل الطبع فى الخروج من وزن الى وزن يقاربه ، فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس.....»

وكأننا بابن خلدون ـ فى هذا التعريف المفصل الدقيق للشعر عند العرب قديما ـ يلقى درسا فى هذا الباب أمام جمع من الطلاب، ذلك أن النزعة التعليمية واضحة بارزة فى أسلوبه كما هو الشأن فى أغلب فصول «المقدمة» ، وما من شك فى أن ديدنه حب التفصيل مع الالمام الشامل بالموضوع المطروق وتوخى طريقة التدرج من محور الى آخر دون الوقوع فى استطراد ممل أو حشو سفسف ضحل .

قيمة الشعر عند العرب : يقول صاحب «المقدمة» عن مكانة الشعر ووزنه وقيمته عند العرب عموما (3) ، متوخيا نفس الاسلوب المنهجى والطريقة التعليمية المتماشية والبيداغوجية العصرية : «واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم ، وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم ....

... والشعر من بين الكلام ، صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام فى مقصوده ، ويصلح أن ينفرد دون ما سواه ، فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلطف فى تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعرى فى قوالبه التى عرفت له فى ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا بنفسه ، ثم يأتى ببيت آخر كذلك ثم ببيت ، ويستكمل الفنون التى فى القصيدة ..»

ويرى ابن خلدون ان الشعر صناعة صعبة المنال والتحصيل ، لا تتوفر الا لاصحاب القرائح ولا تكتمل الا بالممارسة والرياضة وكثرة الحفظ لجيده الى جانب الالمام بقواعده وفى مقدمتها علم العروض :

« ... ولصعوبة منحاه وغرابة فنه كان (أى الشعر) محكا للقرائح فى استجادة أساليبه وشحذ الافكار فى تنزيل الكلام فى قوالبه ، ولا يكفى فيه

(3) المقدمة : ص 570 (الفصل السادس والاربعون) .

ملكة الكلام العربى على الاطلاع بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة فى رعاية الاساليب التى اختصته العرب بها واستعمالها ..»

أما عبارة أسلوب عند أهل صناعة الشعر فيعرفها ابن خلدون بأنها «عبارة عن المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذى هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذى هو وظيفة العروض» (4) ويرى ابن خلدون أن «لكل فن من الكلام أساليب تختص به ، وتوجد فيه على انحاء مختلفة» (5).

ويسوق لنا صاحب المقدمة بعض امثلة على ذلك : «فسؤال الطلول فى الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله : « **يا دار مية بالعلياء فالسند** » ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال ، كقوله : «**قفا نسأل الدار التى خف أهلها**» أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله : «**قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل**» أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله: «**ألم تسأل فتخبرك الرسوم**» ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بتحيتها كقوله : «**حى الديار بجانب الغزل**» أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله :

اسقى طلولهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله :

يا برق طالع منزلا بالابرق وآحد السحاب لها حداء الاينق

أو مثل التفجع فى الجزع باستدعاء البكاء كقوله :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أو باستعظام الحادث كقوله :

« أرايت من حملوا على الاعواد ؟ »

أو بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده كقوله :

منابت العشب لا حام ولا راع مضى الردى بطويل الرمح والباع

---

(4) المقدمة ، ص 570 .

(5) نفس المرجع ص 571 .

او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات (كقول الخارجية) :

ايا شجر الخابور مالك مورقا   كانك لم تجزع على ابن طريف

او بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطاته كقوله :

القى الرماح ربيعة بن نزار   اودى الردى بفريقك المغوار

وامثال ذلك كثير من سائر فنون الكلام ومذاهبه ومن الشروط التى ذكرها ابن خلدون فى مقدمته والح عليها (6) باعتبار توفرها واجبا لا مناص منه للشاعر المجيد :

ـ «الحفظ من جنس شعر العرب حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها» .

ويرى صاحب المقدمة أن للعرب شعراء فحولا لابد من حفظ بعض أشعارهم، «فيتخير المحفوظ من الحر النقى الكثير الاساليب من شعر الفحول الاسلاميين مثل ابن أبى ربيعة وكثير وذى الرمة وجرير وأبى نواس وحبيب (أبى تمام) والبحترى ، والرضى وأبى فراس ، فضلا عن المختار من شعر الجاهلية» كما يرى ابن خلدون أن من «كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ» . ويمضى صاحب المقدمة مؤكدا فكرته هذه بشىء من الالحاح فالالحاف ، اذ يقول : (7)

«فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ» .

ـ وفى نفس السياق ، يتدرج ابن خلدون فى نطاق حديثه عن الشروط الواجب توفرها فى الشاعر الخنذيذ الفحل :

«الا يكون حفظ الشعر غاية فى حد ذاتها ، اذ بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل (الشاعر) على النظم ، وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربما يقال : إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت

---

(6) المقدمة ، ص 574 (الفصل السادس والاربعون) .

(7) نفس المرجع .

النفس بها ، انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة» .

ـ ومن الشروط المشترطة أيضا : لابد ـ على حد تعبير ابن خلدون ـ للشاعر من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار ـ وكذا المسموع ـ لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور .

ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جمام ونشاط فذلك أجمع له (أى للشاعر) ، وأنشط للقريحة أن تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظه .

ولا يأتى صاحب المقدمة بما يورد من خواطر وآراء جزافا أو اعتباطا وانما يركن الى أهل الذكر ليصبغ على أقواله مسحة موضوعية جدية جديرة بالاعتبار، وذلك أنه لئن قال الشعر لم تكن له فيه تجربة واسعة طويلة أو عميقة شاملة ولذا نراه يقول فى تواضع العالم ، متحدثا عن أحسن الاوقات التى يستطاب فيها قول الشعر ، راجعا فى ذلك الى ابن وطنه ابن رشيق القيروانى ـ وبه نوه وعليه أثنى ـ معترفا له بالفضل :

«قالوا وخير الاوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر ، وفى هؤلاء الجمام ، وربما قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء، ذكر ذلك ابن رشيق فى «كتاب العمدة» وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله» .

ويستطرد ابن خلدون فى تعداد شروط الشاعر المجيد بنفس الاسلوب ، مشيرا الى رأى أهل الذكر فى هذا الباب بقوله : «قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله (أى على الشاعر) فليتركه الى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه» .

وهنالك ـ الى جانب هذه الشروط العامة ، شروط فنية دقيقة منها ان يكون بناء البيت (من الشعر) على القافية من أول صوغه ونسجه بعضها ، ويبنى الكلام عليها الى آخره ، لانه ان غفل عن بناء البيت ولم يناسب الذى عنده فليتركه الى موضعه الاليق به ، فان كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق الا المناسبة، فيتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ، ولا يضن به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو بنات فكره واختراع قريحته ، ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب

والخالص من الضروريات اللسانية ، فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة •

كما يوصى ابن خلدون بوجوب اجتناب المعقد من التراكيب اذ أحسن الشعر ما كانت معانيه تسابق الفاظه الى الفهم •

كما يوصى باجتناب كثرة المعانى فى البيت الواحد «فان فيه نوع تعقيد على الفهم» ، ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ويقول فى نفس هذا السياق، منتقدا كلا من المتنبى والمعرى وقد جرى ذكرهما بيننا من بين فحول الشعراء :

«كان شيوخنا (رحمهم الله) يعيبون شعر المتنبى والمعرى بعدم النسج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق» •

ثم يوصى باجتناب الحوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقى المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم : النار حارة والسماء فوقنا •

تلك هى الشروط الاساسية الواجب توفرها فى الشاعر الفحل ، واذا تعذر الشعر بعد هذا كله ، فليراوضه ويعاوده ، فان القريحة مثل الضرع ، يدر بالامتراء ويجف بالترك والاهمال •

وقد نظم الناس فى أمر الصناعة الشعرية ما يجب فيها من هذه الشروط •

ومن أحسن ما قيل فى ذلك ، وأظنه لابن رشيق (على حد تعبير ابن خلدون):

لعن الله صنعة الشعر ، ماذا   من صنوف الجهال منه لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما   كان سهلا للسامعين مبينا
ويرون المحال معنى صحيحا   وخسيس الكلام شيئا ثمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد   رون للجهل انهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو   ن وفى الحق عندنا يعذرونا
انما الشعر ما يناسب فى النظـ   ـم وان كان فى الصفات فنونا ••

حتى يقول :

واصح القريض ما قارب النظـ　　ـم وان كان واضحا مستبينا
فاذا قيل اطمع الناس طرا　　واذا ريم اعجز المعجزينا

ومن ذلك أيضا قول بعضهم :

الشعر ما قومت ربع صدوره　　وشددت بالتهذيب اس متونه
ورايت بالاطناب شعب صدوعه　　وفتحت بالايجاز عور عيونه
وجمعت بين قريبه وبعيده　　وجمعت بين محمه ومعينه
واذا مدحت به جوادا ماجدا　　وقضيته بالشكر حق ديونه
اصفيته بتفتش ورضيته　　وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا فى مساق صنوفه　　ويكون سهلا فى اتفاق فنونه
واذا بكيت به الديار واهلها　　اجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا اردت كتابة عن ريبة　　باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه　　بشبوته وظنونه بيقينه

هذا ويرى ابن خلدون أن صناعة الكلام نظما ونثرا انما هى فى الالفاظ لا فى المعانى ، وانما المعانى تبع لها وهى أصل ، «فالصانع الذى يحاول مللكة الكلام فى النظم والنثر انما يحاولها فى الالفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة فى لسان مضر ويتخلص من العجمة التى ربى عليها فى جيله ويفرض نفسه مثل وليد نشأ فى جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبى حتى يصير كأنه واحد منهم فى لسانهم ...»(8) ويؤكد صاحب المقدمة نظريته هذه فى الشعر بقوله (9) «فالمعانى موجودة عند كل واحد وفى طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة .. وتأليف الكلام للعبارة عنها .. هو المحتاج للصناعة كما قلناه ، وهو بمثابة القوالب للمعانى» .

---

(8) انظر المقدمة ، صص 576 — 577 .
(9) نفس المرجع .

ويستعمل ابن خلدون أسلوبا قريبا الى الاذهان ، يعتمد فيه التشبيه الحسى، حرصا منه على توضيح فكرته كقوله مثلا :

« فكما أن الاوانى التى يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد فى نفسه وتختلف الجودة فى الأوانى المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد، والمعانى واحدة فى نفسها» .

ويشبه ابن خلدون الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان – اذا أراد الاعراب عن مقصوده ولم يفلح – بالمقعد الذى يـروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه» .

وهكذا يتجلى لنا أن الشعر فى نظر صاحب المقدمة موهبة وصنعة ، تقوم ممارسته على شروط أساسية ، متى توفرت للشاعر ساعدته على تبوؤ مكانة الفحل الخنذيذ ، كما يتبين لنا من خلال الفصول الخواتم المخصصة للحديث عن الشعر والشعراء ، أن ابن خلدون ينزل «فن النظم» منزلة رفيعة نبيلة ويعتبره الركن الاساسى للادب فى كل زمان ومكان ، ومعيار العبقرية البشرية الحق ، ومقياس الابداع الامثل .

الحبيب الشاوش

لكِ الجنُون .. وَلي أنا عِشقُ الجنُون !

شعر : محمَّد البقلوطي

للبحر أحلامُ الصّبا
للبحرِ تغريدُ السّنابِلِ للرّبَى
للبحرِ رقصَةُ عاشقٍ طِفلٍ تعلق
بالمدى
وأنا :::
أنا لي دَهْشَتِي
لي طَيْفُكِ العصفورُ ،
لي رَجْعُ الصّدَى
إلاّ أنا :::
عَيْنَايَ عُصفُورَانِ قَدْ حَطّا على
عُودَيْ شَجَرْ
يَتَطَلّعَانِ إلىَ الرّحيلِ وَيَحلُمَان
يُسَائِلاَنِ البَحْرَ :
ـ يا بحْرُ ::
يا بحرُ قُل لي : كيْفَ يبتدِي
السَّفرْ ؟

يا بحرُ قُل لحبِيبتِي :
ـ حلي ضَفائِرِكِ الجميلةَ للقمرْ
يا بحرْ
يَا بَحرُ قُل لحَبِيبتِي
فَحبِيبتِي ...
ضَحَاكَةُ النّهْدَيْنِ ،
سَمْراءُ الجبينِ
حمَامَةٌ ، نَغَمٌ ، مَطَرْ
مَطَرٌ ، مَطر

* * *

يَا بَحرْ
يَا بَحْرُ لو مَرّت عَلَيسَةُ من هنا
افتَح لَهَا جَسَدِي ـ الصّنَوبَرَ
قُلْ لَهَا :
لَوْ لاَكِ :::
مَا فَاحَ زَيْتُونٌ

ولا اخضرت ربى لولاك
لولاك ...
ما انساب شعر بيننا
أبدا
ولا رقصت سنابل للسناء
لولاك ما هتفت بلابل بالغناء
ما صفقت فوق النخيل حمائم
ما غردت للبحر

* * *

يا بحر ...
يا بحر قل لي : كيف يبتدي
السفر ؟
يا بحر
عليسة مذ تكاثف عشقها
في المقلتين
فتحت صدري للرياح
هيأت نفسي للقاح
ومثلت كالقديس عند الشاطىء
المهجور
أستجلي الصباح
والبارحة ..
البارحة ..
خطرت
تماما مثلما يحتاجها جسدي
البارحة
سطعت كأنثى البحر من كبدي
البارحة ..
مددت كفي نحوها ، ودعوتها
فترفقت
فانساب خمر بيننا
وانساب شعر بيننا
وانساب عشق بيننا
ومتى تعجلنا السحر
صاحت عليسة ، صرخت
قالت : بلى !
كن ما تشاء
كن ما تشاء
ولسوف يعبدك الجسد
كن ما تشاء
تهفو لك الاشياء ، يأنسك البلد
كن ما تكون
قرطاج عاشقة
قرطاج شاعرة
كن ما تكون
فلك الجنون . ولي أنا ..
عشق الجنون متى يكون ..

محمد البقلوطي

كلمات منثورة

بقلم: البشير المجدوب

الوجود يفتقر الى العدم ، مقترن به متلبس به .

العدم حقيقة قائمة ... شأن هذا الفضاء الغامر يكتنفنا من كل صوب ، لا حصر له ولا حد .. إطار لا نهائي أجوف خلاء .. رحم خصب متسع لكل صورة ومعنى .. خضم زاخر بالقوة والامكان .

العدم هو هذا الباطل الذي يقوم عليه وجودنا ، والصورة الوهم التي هي شرط كياننا .

***

الأمل الحق ثورة على الواقع البشع المظلم ... على قوى الشر الزاحفة من حولنا ... على عالم الفقر والجور والشقاء قد محوناه في أنفسنا محوا حتى كأنه لم يكن .

***

ما من عمل أو موقف أو هيئة ينظر اليها من خارج ، في حال تجرد وانفصال ، وقد فقد التجاوب والتعاطف الا استخف بها وعدت شيئا باطلا .. ضربا من السخف .. عبثا ولغوا .. شكلا ولا معنى .. لهوا مجانا مثارا للازراء والاستهجان ، والهزء والتندر ، وإن كانت عين الجد ، وحف بها الوقار والجلال ، ولابستها الحرمة والقداسة ، وانتسبت الى المروءة والبطولة .

ههنا ، في هذا الحيز الدقيق .. في هذا الحد الفاصل حتى كأنه الخطوة من دونها هوة بعيدة القرار ، ههنا باعث سوء الفهم ، والتفاهم ، وداعي السفه والتعصب ، وسر التدابر والتنابذ ، والانقسام والمعاداة .

إنه الكسل ، لا شيء الا الكسل ، وسقوط الهمة ، وكلال الحد ، وموت القريحة ، وانتفاء الفضول ، والصلف البليد ، والعجب اللدود ، والأثرة المستفحلة الآثمة .

***

الوطن والأم صنوان ... وجوبا وقداسة ، تمكنا ورسوخا ، كلاهما لا مهرب منه ، ولا قبل لك برفضه ، مدفوع أنت قهرا ، وإن تمنعت وتلكأت ، الى محبته وعشقه ، محمول على الاخلاص له والموت دونه .

***

الى منذر مجهول :

« .. أبيت ، يا هذا الا أن تكون ظريفا حيا وميتا ، اذ انحشرت فى القبر دون مالكه وسددت عليه الطريق قبل موته ! »

***

كلمة تولد أخرى ، وتوحى بها لقاحا مخصبا .. تدعوها تتطلبها جهدها وتناغيها ، وتستحثها شوقا الى اللحاق بها والوصال .

***

لم يكن الدين الحق رقا ولا عبودية ، ولا تسلطا من قوة عليا ، تجبرا ومحقا للانسان .

الدين كرامة وإكرام من الله الذى تفضل فرفعنا اليه ، على ما بيننا من مسافة لا حد لها ، وتفاوت كالهوة الهائلة ليس لها من قرار .

تأمل ! أن تدرك يا هذا ، وأنت الذرة الصغيرة ، صميم الوجود ، وتسبح فى خضم اللانهاية ، وتعتنق الكل ، وتنفذ الى سر الكل ، ولا تتيه ولا تضل ، ولا تخزى ولا تهلك ، أليست تلك معجزة المعجزات، والحدث الفذ لا كفء له ولا مثيل فى تاريخ الأبد .

البشير المجذوب

دموع على الكراسي

قصة : محمد بوفارس

ـ حمارى العزيز ... طرقت باب زربيتك فجاءنى صوت مهترىء من الداخل :

ـ ادخل !

دخلت آمنا ، ومسلما ، ابحث عن المجيب ، فوجدت جسما منهوكا ، لحية كثة ، وبقربه خبز وماء فسالته :

ـ كيف أحوالك يا شيخ !! فرد على فى أنة وتواضع ، وبصوت حزين :

ـ قم الى قومك ، وقل لهم : « يهيئون غدا لى ـ جنازة معتبرة ـ فاليوم هو آخر يوم فى حياتى ؟! .

ـ ماذا جرى ، لا سامح الله ؟ أخبرنى !!

ـ لا شىء : ولكن حضرت المنية فمن يردها ؟!

ـ هون عليك فان صحتك جيدة وعقلك شباب ، وأفكارك نيرة ، وتواضعك اكرام ومكرمة ، وبقاؤك بيننا هو المراد ، وحديثك هو سلوتنا ، وحكمتك هى نبراسنا ووفاؤك هو وقود ـ حياتنا ـ وبسمتك هى شفاء البائسين ، قم ... قم ... نتجول عبر أزقة المدينة ، لترفه عن نفسك أنت قلق فقط والايام الجميلة أمامك ،،، قم نتفسح ، أو قم فافتح لنا تلفازك ؟!! .

ـ عن أى تلفاز تتحدث ...؟ والنور الكهربائى ما زلت لم أتذوق شعاعه !

ـ اذن قم ... فافتح لنا مذياعك ... أم أنك كسرته ، أم بعته ؟!

ـ لا لم أكسره ... ولم أبعه ... والسبب بسيط هو أنني لم اشتر بعد مذياعـــا .

ـ اذن قـــم ... نتراقص على أنغام مأساتك ووقع طبل أحزاني ؟!

ـ عن أي رقص تتحدث ! والعصـــر : عصرنا هذا صار فيـــه الاب يراقص ابنتـــه ،،، والاخ يراقص أخته ، والبنت تراقص عشيقها أمـــام خطيبها ثـــم عن أي نوع من الرقص تتحدث أهو الكلاسيكي ؟ أم الغربي ؟ أم الشرقـــي ؟ أم الجنوبـــي ؟

ـ آه ... علـــى « عصرك يا نبي الهدى » ... ضاعت فيـــه الاخـــلاق ! والكرامة ... آه ! واستشهد فيه الوفاق .

ـ أتبكي ... بدموع حمراء ؟!

ـ نعم ... أبكي ... هيا ! قـــم ـ اذن ـ لاغني لـــك ! لاتسي دمـــوعي وتغني لي لتنسي دموعـــك !

ـ ماذا ساغني لك : وحنجرتي قد بعتها ، وأذناي قد أغلقـــت بوابتهمـــا

ـ لمــــاذا ؟

ـ خوفا من التخمر بأغانيكم المفضلة ... وخوفا على بني جنســـي مـــن التقليد

ـ اذن قم نرحل الى المقهى ... فهنالك تجد ضالتـــك المنشـــودة ... وتروح عن نفسك ذهابا وايابـــا !

ـ ليست لي أية رغبة في مغادرة محل سكناي أريـــد أن أبقى هنـــا بعيـــدا عن كل الاضواء والتيارات والتساؤلات والتحرشـــات والهزات والوشايات ! أفضل وحدتـــي علـــى مسامرة أي كـــان : فمـــن وحدتـــي أستمـــد تعبـــدي وخشوعي ... ومـــن وحدتـــي تعلمـــت الابتعـــاد والقناعة ، والتواضع ... والاطمئنان !

ـ كفاك ثرثرة وقم معـــي ؟!

رضخ لامري وسار معـــي ،

في الطريق : كان مطاطا الرأس : لا يحملق في شيء كان تائـه التفكير لم يعرني لفتة · فمزقت الصمت هاتفا لـــه :

ـ الى أى مقهى تريد أن تذهب ؟

ـ وكم هنالك مـــن مقهـــى ؟

ـ واحدة ·· و ·· واحدة و· واحدة و··· تسعة !

ـ وما هـــــى ؟

ـ مقهى « العبير » : وعندمـا تدخلها تشتم رائحـة « جيف » الذبـاب ، وعطر النعال ، وعذوبة الالفاظ البذيئة ، السوقية الى حد الخجل ·

ومقهى « الصداقة » عندما تدخلها : تـرى متخاصميـن فتسأل عنهمـا : فيأتيك الجواب : « الآن دخلا اليها صديقين حميمين » ·

ومقهـى « العـز » تدخلها : فلا تجد كرسيا لائقا تجلس عليـه ، وتقـف صابرا ، وتجلس على صبرك ، وتطلـب قهـوة فيماطلـك « القهـواجـى » و « يتعـــزز » فى تلبية رغبتك ·

ومقهى « الاخـلاص » تدخلها لاول مـرة ، فيتسلط عليـك القهواجـى ، ويطالبك بدفع ثمن قهوة لم تشربها ·

ومقهى « الاحباب » تدخلها فترى الوجوه واجمة كـل واحد فـى زاويـة لا تسمع وشوشة ، ولا طنينا ، وتسأل : أهـم كلهم : صم ! بكم ؟ فيرد عليـك القهواجى : كلهم متخاصمون ·

أوقفنى مرافقى سائلا : وكيف يلعبون الورق ؟

ـ ربما يلعب كل شخص لحسابه ـ وحده ـ ويدفع أجرة اللعـب بـدون أن يقابله خصـــم ·

ومقهى «الحـرية» اذا دخلتها : رأيت النـاس يتهـامسون · واذا سـألت لماذا الهمس ؟ أجابك صاحب المقهى فـى حذر : ـ لا تسأل أخفض صوتـك !

ومقهـــى « البكاء » اذا ارتدتها سمعت الضحـك والقهقهة : كـل الوجوه ضحوكة ·· كل روادها «مرحون» لا يفكـرون الا فى قتـل الوقت بين لعبـة واخرى ·· ونكتة وأخرى ·· وبسمة وأخرى ··

ومقهى « الضحك » اذا دخلتها وجدت الناس كلهم فـى أزياء سوداء حدادا على الوقت والاموال المدفوعة يشربون القهوة السوداء ويتكلمـون ـ كلامـا أسود حالكا ـ مبهما ٠٠ ومن حيـن لآخر ترى جالسا يبكى وينتحب : كأنـه فقد عزيزا عليـه ٠٠ وآخر وآخر ٠٠ واخرين « يشهقون » كـأنهم تناولـوا أقراص ـ البكاء ٠

ـ ولكن من هم روادها ؟

ـ كثيرون : وعلى سبيل المعرفة فقط : من فقد عمله رائدها !

من فقد زوجته ـ مطلقا ـ يزورها !

من فقد بطالته يجلس فيها ٠

من فقد كرامته ـ يأتيها !

من ضيع شبابه ، بين خمر ، وقمار ، وافلاس يتردد عليها !

من شيد قصورا من الاحلام : فهبت عاصفة من الواقع الاليم فهدمتها ،،، لا يفارقها !

ومقهى «البطالة» روادها لهم سيارات ، ومهـن واشغـال : يشـربـون ، ويدخنون واقفين ، وهى المقهى الوحيدة التى لا تجد بها كرسيا واحدا ، ولا طاولة واحدة ٠٠ وهى من النوع المربـع جدا ٠٠ ولها دخل تحسد عليـه ٠

ومقهى «العاملين» اذا دخلتها ، وجدت كل الكراسى مشغولة وكل الطاولات محجوزة ،، وخزان القهوة قدنضب ،، تدخلها صباحا وتزورها ضحى وتتردد عليها مساء ٠٠ وتجلس بها ليلا : فلا يتغيـر الجالسون ولا يتغيـر النادل ٠

ـ حيرتنى والله لم أعد أعرف أى مقهى أقصد ! وما هى هذه المقاهـى ؟

ـ سهل جدا ٠٠ لكى تعرف كل مقاهينـا هذه خارطة المقاهـى : « فـى قريتى تشتم عبير الصداقة والعز ، والاخلاص من الاحباب ، وتتمتع بحريـة البكاء على رصيف الضحك أسفا على بطالة العاملين » والآن الى أين المسير ؟

ـ الى مقهى البكاء اذا شئت !

ـ نعم الفكرة ! ربما بها نتذكر مآسينا كلهـا فعـوض أن نشرب قهـوة سوداء نشرب مأساة فى لون الحزن وعوض أن ندفع له ثمنها نقدا ٠٠ ندفع له قصيدة رثائية ونهرا من الدموع ٠٠

ـ ومن سنرثى فى هذا العصر ؟

ــ كـل شـيء : شبابـي ! شبابـك ! عـروبتنـا ! انتصـاراتنـا ! صدقنا ! حماستنا ! كرمنا .. وكرامتنا .!

ــ كفى كفى ابتدأت من الآن فى استفزاز دموعـى ٠

انتهى بنا الحديث الى مقهى البكاء : كل روادها يضحكون حتى الثمالة ٠٠ كل روادها تعلو وجوههم ابتسامات والنادل يطير بين جالس وواقف مقهقها والنرجيلات تقفز من جلسة الى أخرى ضاحكة لعوبة ٠ نظرت فى الحاضرين٠٠ نظر مرافقى فى الجالسين على « ابتساماتهم » وهمس لى :

ــ وأين سيكون جلوسنـا ؟

ــ لا أدرى ٠٠ سأذهب الى النادل وأحجز مقعدين !

ــ سيدى « النادل » سيدى النادل سيدى ٠٠

ــ ماذا تريد ؟!

ــ مقعدان وطاولة ٠

ــ ما بك هكذا « عبوس » ؟

ــ لا أنا « عبوس مضحك » أنا حزين فرح أنا « مأسـوى مبتسم » واذا لم تصدق فانظر الى رفيقى الضاحك ــ الباسم ، اللعوب ــ الطروب .

حملق فى مليا ثم أشار الى زاوية وقال لى :

ــ اجلس هناك ، أنا قادم ٠

رافقت مصاحبى وجلسنا نترقب قدوم النـادل الكريـم ، وجاءنى ، بعـد برهة ، باسما ضاحكا ، طروبا ، لعوبا ، يتلوى كأنـه راقصة شرقيـة وبيده طبق يدفعه يمنة ويسرة والاكواب فوقه ترقص ، مد لنا بسمة عريضة وهمس لنـا :

ــ فـى خدمتكمـا ؟

ــ كوب شاى ، وكوب ماء ، هذه طلباتى ،،، وشوف زميلى ٠٠ لعله يحب نارجيلـة !

ــ التفت النادل وتمتم : « وأنت ٠٠٠ ماذا ستشرب ؟ حمار معـك يا لهول المصاب !! » .

ــ وماذا يهمك لب طلباته وان كان كلبـا !

غضب حماری وطأطأ رأسه

– لماذا أغضبت – حماری – فی محل الضحك : حرام عليك ! سأشكـوك الى من هو أضحك منـك !

– لا ٠٠ لا تفعل من فضلك ! طلباتك ؟

نهق حماری : نرجيلة !

– نرجيلة لك يا ٠٠٠؟

نعم نرجيلة ،،، لماذا استغربت : تفرس فی كل تلك الوجوه التی تمسك بمباسم النرجيلات : تخزن دخانا ٠٠ أمراضا ٠٠ وأحزانا ٠٠ كـان الاجـدر بهم مراجعة دينهم والرجوع الى آخرتهم ، والعمل لها ٠٠ كـان الاجـدر بهم الرجوع الى خدمة مصالحهم ، وكان الاجدر بك أنت أيها النادل – أيضا – أن تختار – زبائنك – هيا فت ٠٠ والا ركلتك ببسمة قاتلـة ولا تنس فنجـان قهـــوة !

نظر الی حماری غاضبا ، حانقا ، وصاح فی وجهی : « أجئت بی الـی هنا لانسی همومی ، أم لازيدها هموما ؟! »

– ابتسم ودع عنك التهجم : « قبل كل شیء » فنحن جئنا الى هنا لننسى كـل شـیء ٠٠

– أنت جئت لكی تنسی همومك ٠٠ وأولئك «الاطفال» فی عمـر الـورود أين آباؤهم ؟ أين الرقابة ؟ يدخنون ٠٠ يشربون ٠٠ هل جاؤوا لكی ينسوا ؟ لينسوا – ماذا ؟ كان عليك أن تصحبنی الى حانة !

– حانـة ! معاذ الله ٠٠

– نعم حانة لكی أشرب حتی الثمالة ، وأنسی حقيقة مشاكلـی وهمومـی وهموم امتنا بماذا تشعر حيـن ترى « هـذه المقاهـی » مزدانة بروادهـا : بأطفالنا ٠٠ بأكبادنا ٠٠ طاقات شابة ٠٠ « تهدر » فـی « بؤرة » الفسـاد والمقاهی .. والملاعب والملاهی ، والجوامع تركوها ، والدين تركوه ، والأخلاق داسوها ؟ أين أنت من جيل المستقبل ؟

قم بنا نغادر المكان !٠ فربما اذا واصلت الجلوس هنا سنجمد الى الابد ٠

نهضنا قبل أن يعود لنا النادل ، تاركين له أنهـارا مـن الدمـوع علـى الكـراسی ..

محمـد بوفـارس

اسْتِطْرَادَاتٌ ذاتية

شعر: هادي دانيال

— 1 —

مُرْجئا

يغمد الشراعَ ،

منكفئا

يعدّ الرمالَ ،

منتظرا قَبْرَهُ

قَبْرَهْ ؛

أسْكَرُ لا بالخَمرِ والحشيش

أسكرُ بالوقتِ الذي يمرُّ ،

بِدَوْرَقِ الحلْمِ الذي انكَسَرْ .. ،

بالأفقِ الذّابلِ في ربيعهِ ! ،

بضحكةِ الطّفلِ

يدحرجُ الأيامَ دميةً قدُمْيَة

بظلّ عشبةٍ على حَجَرْ .. ،

أسكرُ إذْ أُنَادِمُ القَدَرْ ..

— 2 —

في المنزل السابع من روحهِ .. الفراغُ ،

تأمّلَ الشاعرُ قَلْبَهُ ،

فاجَأهُ الشراعُ
قماشة منسوجة بخيطٍ من دَمِهْ
وحِبْرِ قَلَمِهْ ..
فانْكَسَرَ اليراعُ
على صخور حُلُمِهْ :
كَمْ مَرَّة مَعْ زوجها
خَانَتْكَ ، يا صديقيَ ، العشيقةُ ؟ .: ،
كَمْ نَوْرسا قَتَلْتَ
في سريرِ أُمِّكَ العذْراءْ .. ؟
كمْ ظبية ذَبَحْتَ
فوقَ فخذِ الينبوعِ ، كَمْ ؟ ..
يا زَوْرَقا من خَشَبِ النَّدَمْ ،
مجذافكَ الذي يَشُقّ لحظة ،
ينشقّ فوقَ صخرةِ العَدَمْ ! .

— 3 —

يفتح في الصخْرةِ بابا
(ليس يُفضي إلى ...)
(سوفَ يفضي) :
حَمَّامُ الشَّطْ ،
فيهِ حَمَامْ
يحرسُه بَطْ ..
فاستَحَمَّ النَّوْرَسُ
بِمَوْجَةٍ مِنَ الرّدى
المُنْحَطْ ..

— 4 —

قَفْزَةٌ من شاهق النَّشْوَةِ بالخَلْقِ
إلى عَرْبَدَةِ المَخلوق في الأرض
تهزّ الكونَ كالجَرَّةِ وَقْتَ الخضّ :
والزّبدةُ قَبْرُ النبعِ ؟

— 5 —

فخّارُ زمان الرّاكضينَ إلى الرغيفِ ،
شعوبنا هذا الركام مِنَ الخرائبِ ،
تَنْبُتُ الأعشاب أفكارا ،
عَلَيْهَا مرّ حَمْلٌ جائِعٌ ،
فر عن المقدمةِ المجيدة والكتابِ ،
ثغا ، فهرّتْ منهُ أحرُفُنا القتيلةُ
بذْرَةً بذْرهْ ..
فاشتاقت القُطعانُ للثّوْرهْ ..
لَوْ كنتُ ديكا فوقَ مَزْبَلَةٍ
لَصَحَوْتُ مُدّعيا لكمْ فَجْرًا ،
وصحتُ : في المزهريّة
فوق مائدتي
بَخَرٌ وجُرْحُ
فَلْتَشْرَبِ الصحراءُ صَمْتِي ،
بجماجم الشهداءْ ! ..

1985 / 12 / 30
تونس — مرسى النسيم
هادي دانيال

الجبة .. تاريخها .. تقاليدها

بقلم : أبو بكر عبد الكافي

الجبة بضم ففتح مع الشدة : ثوب واسع فضفاض يلبس فوق الثياب .

جمع جبة : جباب بكسر الاول وجبب بضم ويصغر على فعيلة جبيبة وتجبب الرجل : لبس الجبة .

تاريخ الجبة : الجبة ثوب عريق في القدم ، عرفه الانسان بعد الازار والرداء ، وكان الفنيقيون والقرطاجيون يلبسون جبابا طويلة واسعة ذات اكمام ، وتظهر لنا الجبة القرطاجية في ابسط أشكالها على تمثال لرجل عثر عليه في حفريات قرطاجنة (1) .

ولا يبعد ان تكون هذه الجبة قد سبقتها جبة أكثر بساطة وبدون اكمام ونتصورها كالكيس الواسع به فتحة للعنق وفتحتان للذراعين .. وأقرب شبه لها ما كان يتخذه بعض الزهاد والدراويش ثيابا تقي اجسامهم من البرد والحر ، وفي عهد غير بعيد كنا نرى بعض فقراء البدو أو البهاليل يحولون كيس الخيش (شكارة) او غرارة او تليسا الى ما يشبه الجبة بعد تقوير مدخل للرأس وفتحتين للذراعين (2) .

كذلك نرى هذا الثوب في أول نشاته بسيط الصنع ، يحمي الجسد من الحر والقر وينسج بالنول التقليدي العتيق شبه كيس واسع ثم يحول .

---

(1) تاريخ افريقيا الشمالية ترجمة الاستاذين محمد مزالي والبشير بن سلامة ص 117 ومدنية المغرب العربي للاستاذ احمد صفر ص 163 .
(2) اللسان العربي مجلد 18 جزء 1 ص 99 ـ 1980 .

الجبـة زى حضارى : الجبة فنيقية شرقية لبسها العرب وواكبت حياتهم وتطورت بتطورهم ، من حيث مادة صنعها وشكلها ، مما جعلها تكسب مكانة بين غيرهـا من الثياب التى عرفوهـا ، لانها الزى الخارجـى الذى يرى فيه الفرد ، فاذا بالجبـة البسيطة المتواضعـة تتحول الـى زى حضارى بـارز ، ومتاع رفيع يتفاخر به فـى المجالس والمناسبات وصار يصنع من الصوف والخز والحرير والموبر والفراء والملف والاطلس .

تقدم لنا المصادر التاريخية والادبية الوانا من الجباب تبثت لنا مدى مـا بلغه الخياط العربى فـى القديم من اهتمام بصناعة الجبة فصالـة وهندسة وشيا وتطريزا ، مما جعل ثمنها يرتفع وتنال حظوة لـدى الملـوك والامـراء وكبار الكتاب والوزراء بينما هى دون ذلك لدى رجال العلم واهل الزهد لما كانوا عليه من تواضع .

لقد لبس النبـى صلى الله عليه وسلم الجبة حمراء وأخرى شاميـة ضيقة الكمين (3) وشهد عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما واقعة صفين وعليه جبـة خز ، (4) بينمـا قضاة القيروان كانوا يلبسون جباب الصـوف وجبـاب الوشـى (5) .

وروى الخشنى ان قاضى قرطبة بالاندلس سعيد بن سليمان الغافقى كان يجلس للقضاء وعليه جبة صوف بيضاء وفى راسه اقروف (*) أبيض وغفارة بيضاء كذلك (6) .

وآثر العباسيون اللون الاسود فى جل ما كانوا يرتدونه من الثياب لانه لون شعار دولتهم ويبرز ذلك جليا فى الوان جبابهم وفى الخلع التـى كانوا يمنحونها لكبار الضيوف ورجال الدولة والولاة .

---

(3) نهاية الارب للنويرى جزء 18 ص 289 .
(4) معالم الايمان للدباغ ج 1 ص 167 .
(5) انظر على سبيل المثال حياة قضاة القيروان ابن حمديس وعيسى بـن مسكين وابن ابى طالب .
(*) الاقروف : قلنسوة مستديرة ضخمة كانت من لباس الفقهاء والقضاة فى العهد العباسى وانظر عنها : مجلة التراث الشعبى العراقيـة عدد 8 و 9 وسنة 7 ص 32 ورحلة ابن بطوطة ص 96 .
(6) قضاة قرطبة للخشنى ص 62 .

ومما يروى ان الخليفة هارون الرشيد كان عليه في مرض موته جبة سوداء من خز بغير قميص وعليه فنك وفوقها دراعة سوداء وعمامة خز سوداء وطيلسان مثلها (7) .

كذلك كان زى خلفاء بنى العباس في شباب دولتهم ، ويبدو لنا ان الرشيد كان اكثرهم اهتماما بالازياء ، وربما بالغ الرواة بعض الشيء اذ ورد ان محمد الامين لما تولى الخلافة بعد أبيه أمر باحصاء ما فى خزائن الكسوة والفرش فدامت عملية الاحصاء اربعة اشهر ومما وجد بتلك الخزائن أربعة آلاف جبة وشى واربعة الاف جبة خز مبطنة بالسمور والفنك وسائر الوبر (8) وآلاف غيرها من الثياب .

وقد لا نستغرب هذا العدد اذا علمنا بأن التقدم الحضارى يؤثر فى كل ما يتعلق بالانسان وعلى الاخص الملابس التى يرتبط بها ماديا وفكريا ، وينعكس عليها ذوقه واختياراته ليكون انيقا فى مجتمعه على حد قول الرجل الشعبى (زينة العبد لباسه ؟؟) ومقام الفرد فى الهيئة الاجتماعية يظهر من لباسه وابرزه الجبة لانها الزى الخارجى ، وظاهرة الاكثار من انواع الثياب التى لاحظناها لدى بنى العباس نجدها نسبيا لدى كبار الكتاب ومن هو دونهم .

روى الدباغ : ان احمد ابن الوزير الاغلبى على بن حميد التميمى وكان مشتهرا بالفقه والعلم وجد فى مخلفه بعد موته سبعون جبة وشى (9) .

وقدم لنا القاضى رشيد بن الزبير تقييما هاما لجباب احد كتاب العباسيين يزيدنا معرفة بما بلغه هذا الثوب من عناية فى الحضارة العربية :

قال المؤلف : «وجد أبو الحسن احمد بن محمد ابن المدبر حين أمره المتوكل بمصادرة على بن عيسى بن يزداد فى داره بعد أخذ رحله مائة جبة سعيدية قيمة كل ثوب منها من مائتى دينار الى مائة وعشرين دينارا الى ثمانين دينارا وجميعها موبر بجميع الوبر وتحت كل جبة منها قميص وفوقها

---

(7) الفنك : جنس من الثعالب صغير له فرو من أحسن الفراء .
(8) الذخائر والتحف للقاضى رشيد بن الزبير ط. الكويت ص 214 .
(9) تراجم اغلبية للاستاذ الطالبى ص 323 .

مبطنة ومعها كساء قومسى وعمامة وشاشية فما رؤى مثل اجتماعها وحسنها» (١٥) .

والنصوص التاريخية كثيرة جدا نتعرف من خلالها على ما بلغته الجبة من قيمة فى الملابس العربية الحضرية مما صيرها زينة المجالس والمحافل وثوب علية القوم كما قال الشاعر ابو قابوس النصرانى عندما اهدى اليه جعفر بن يحيى (مطرف خز) .

فلو كان هذا (المطرف الخز) جبة — لباهيت اصحابى بها فى المجالس
فلا بد لى من جبة من جبابكم — ومن طيلسان من جياد الطيالس

لقد فضل الشاعر الجبة على مطرف الخز لانه لا تبرز شخصية الفرد فى المجالس الا بالجبة والطيلسان الرفيع بينما البحترى يترفع عن المظاهر ولا يرى العلو باللباس :

وليس العلا دراعة ورداءها — ولا جبة موشية وقميصها (١١)

فان كان البحترى لا يرى الفخر والعلو بمظاهر الفرد ولباسه انما بما اكتسب من صفات ومحامد فهو قدم لنا صورة عن مجتمعه الذى يتباهى بلباسه المتكون من دراعة وعليها رداء او جبة فوق القميص .

الجبة فى المشرق : ان لباس الجبة فى المشرق شمل الجنسين بل فى كل الوطن العربى ، وكلما تقدمت الايام ، وتلاقحت الافكار ازدادت صناعتها تقدما وتفننا رغم ما طرأ عليها من غزو الثياب الاجنبية كالفارسية والتركية وغيرها مما جعلها تكتسب فى كل شعب من شعوب الامة العربية طابعا خاصا لذلك الشعب مع الحفاظ على شكلها الاصيل وتقاليد لباسها .

ان جباب شعوب المشرق العربى تتفق مع جباب شعوب المغرب من حيث وسعها وارتداؤها فوق الثياب الداخلية وتختلف عنها فى الفصالة والوشى والطرز بل وقد نجد فى الاقليم الواحد اختلافا فى الجباب من مدينة الى مدينة داخل ذلك الاقليم .

---

(١٥) الذخائر والتحف ص ١٨٧ .
(١١) الدراعة والمدرعة ثوب يشبه الجبة مشقوق من أمام يلبس عادة تحت الرداء .

ان الجبـة المصرية الحضرية واسعة مبطنة بالفرو ولها كمان اقصر مـن كمى القفطان الذى يلبس تحتها وهى مشقوقـة من الامام ، بينما الجبة فـى سيوة بالصحراء المصرية تتكون من قطع قمـاش مستطيلة وسطهـا فتحـة للعنق مستديرة ومخيطة الجانبين وبهما فتحتان لامرار الذراعين وليس لهـا اكمام ، ويجعل أحيانا حول فتحة الذراع تكة مـن الصـوف يمكن تضييقها فتقبض على الذراع وقد يزين صدرها بالوان بارزة كالاحمر والاخضر والبنى والازرق (I2) .

واذا انتقلنا الـى العراق نرى جبة أهل الكاظمية ذات كميـن عريضيـن وتصل الى القدمين ومفتوحة من الامام بينما أهل (تعفر) من نفـس القطـر يلبسون جبابا تتكون الواحدة مـن ثلاث قطع قماش اثنتان للامـام والثالثـة للخلف ولها كمان طويلان بكـل واحد منهما فتحـة جانبيـة تساعد مرتديها عندما يشمر عن ساعده ، وهذه الجبة تطرز بالقيطان ويعزز صدرها بسفائف تزيدها رونقا (I3) .

ان هذه بعض الجبـاب الشرقيـة تختلف عن جباب اهـل المغرب وعلـى الاخص الجبة التونسية ذات الطابع الخاص .

الجبـة التونسيـة : ان تونس جزء من المغرب العربى أحد اجنحة الامـة العربية وشعوب المغرب توارثت الجبة كزى يلبس وحده أو فوق الثياب عن القرطاجيين الذين كانوا يلبسون جبابا طوالا واسعة الاكمـام والقرطـاجيون فنيقيو الاصالة بحيث ان الجبة المغربية شـرقية الاصـل ٠٠ وعـلى الارض التونسية تلاقت الحضارة القرطاجية (او بقايـاها) مـع الحضـارة العـربية الاسلامية بعد الفتح العربى وتدعمت عناصرها بما كان بين مدينتـى بغـداد والقيروان مـن صـلات روحيـة وعلمية واقتصادية امتـد اشعاعها الى بـلاد الاندلس فازدادت الحضارة تلاقحا وازدهارا وكان لانعكاسات اشعاعها تاثير على شتى الفنون والصناعات التى من بينها صناعة الازياء فاذا بالجبة تتطور وتكتسب طابعا مميزا تاثرت به الشعوب المجاورة لها كالجزائر وليبيا وتخالف جباب شعوب المشرق ٠

والتونسى تعلق منذ القدم بالجبة والبرنس وحافظ عليهما شكلا وحياكة

(I2) الازياء الشعبية (سلسلة المكتبة الثقافية) لسعد الخادم ص 20 و 93 .

(I3) مجلة التراث الشعبى العراقية عدد I2 سنة 6 عام 75 .

وفصالة وزخرفة مما صيرهما أقدم الازياء عنده ويعتبرهما الزى الوطنى الصميم .

لقد كان الى عهد قريب يتباهى بارتداء الجبة الطفل والشاب والرجل وحتى المرأة خصوصا فى المواسم والاعياد والافراح ، وراجت اسواق الجبة وازدهرت تجارتها وكثر خياطوها واحدثت لها الاسواق .

والجبة التونسية واسعة فضفاضة تخاط من جانبيها وفتحة عنقها نصف دائرية من أعلى وتنزل الفتحة مع الصدر الى الحزام وفتحتا الذراعين بدون اكمام ويصلان الى الكوعين لعرض الجبة .

انواع الجبة : تنسج الجبة التونسية من مادة الصوف او الحرير الطبيعى او الصناعى او الملف او الكتان على الطريقة التقليدية بالنول ـ قبل احداث المعامل ـ ويقوم بهذه الوظيفة الجنسان فى المنازل والدكاكين المختصة ، واشتهر بنسجها سكان مدن تونسية عديدة مثل مدينة تونس وسوسة وصفاقس وقصر هلال وجربة ، وان اشتهرت مدينة تونس بجباب الحرير الطبيعى الرفيع فجبة الصوف او الصوف المزوج بالحرير اشتهرت بها مدن الجريد وعلى الاخص مدينة توزر . ومع تطور الصناعات وانتصاب المعامل المختلفة صارت الجبة تتخذ من الاقمشة المعملية الى جانب المصانع التقليدية ، وتكون من قطعة قماش طولها خمسة امتار فى عرض أقل من المتر وان كان القماش ذا عرضين فيكون طول قطعة القماش مترين وستين صنتمترا .

تكون جبة الحرير الطبيعى عادة بيضاء او رمادية او لون التبن مقصبة تقصيبا بارزا فى لون رقعتها وهى جبة العريس ليلة زفته ولباس رجال العلم واصحاب الخطط وبعض الوجهاء وهذه الجبة تصبغ سوداء أو سوداء مائلة الى الحمرة فى لون الخمر وتدعى (جبة خمرى) او لون السواك وتدعى (جبة سواكى) وتلبس عادة فى فصلى الخريف والربيع وجبة الصيف تصنع من الكتان او القماش الابيض الرفيع المعروف بالقمراية او قماش تبنى اللون يعرف بالسكروتة ويجلب من المشرق وصارت أيضا تصنع من الترقال الدقيق بينما جباب الشتاء تكون من الصوف او الصوف الممزوج بالحرير وتصبغ سوداء او لونا آخر كما تصنع من الاقمشة المصنوعة السميكة .

جبة الشمس : الشمس بكسر الاول والثاني تعنى الشموس وهى عبارة عن دائرتين مطروزتين على جانبى فتحة صدر الجبة ، وتعوض

الشمس بشكل (قمقمين) مرشى عطورات وتدعى جبة مرشات او البواقل او الكبابت وتدعى ايضا الخواتم وكل هذه الاشكال الهندسية المعروفة عند اهل الصناعة تطرز بالحرير (14) .

وهذا النوع من الجباب اختص بارتدائه العلماء والقضاة والمفاتي بينما الجبة الشعبية تكون عادة ابسط من ذلك اذ يقتصر في طرزها وزخارفها على أشكال تدعى (توت) حول الطوق بالحرير او الابريسم الذى يسمى (التهليل) و (القيطان) وتمد اشرطة حرير عرضها نحو صنتمتر حول الكمين والطوق الى العنق ومن فتحة الطوق الى الذيل .

التارزي : نسمى خياط الجباب (تارزي) كما نسمي صانع البرنس (برانسي) .

وكلمة تارزي محرفة عن كلمة (درزي) او صيغة اسم الفاعل (دارزي) وفي وفي اللغة درزت المرأة الثوب خاطته خياطة متلززة في الغاية والدرزي بفتح الاول هو الخيوط وجمعه الدروز ، والدرز هو ارتفاع يحصل في الثوب عند جمع طرفيه في الخياطة (15) والجبة والبرنس يكون طرزهما بخياطة متلززة للغاية عالية نوعا ما وهو النوع المصطلح عليه باسم (البرشمان) (16) . والتسمية الصحيحة لخياط الجباب هي الدارزي لا التارزي .

وعندما يشرع الدرزي في العمل ترى الجبة بين يديه وقد وقف غلامه بعيدا عنه بضعة امتار وهو ممسك بيديه خيوط الحرير الواصل طرفها الآخر الى الجبة وكلما خاط الدارزي شيئا ترى الغلام يحول الخيوط من يد لأخرى حسب الطرز الى نهاية العمل .

الجبة النسائية : بعد الحديث عن جباب الرجال نتحدث عن جباب النساء وبينهما فروق واضحة ملموسة لان جبة المرأة دون جبة الرجل اتساعا

---

(14) مجلة الاذاعة والتلفزة التونسية عدد ديسمبر 1963 .
(15) اللسان العربي مجلد 12 جزء 1 عام 75 ص 20 .
(16) البرشمان : كلمة فارسية اصلها بارشمق تعني التوافق ، وبما ان خياطة زخارف الجبة متلززة لبعضها البعض للغاية ففيها التوافق وتقارب الخياطة والمطابقة بينها وبين الثوب سميت خياطتها (البرشمان) .

وعرضا مع انها غير ملتصقة بالجسم واكثر طرزا واهتماما وازهى ألوانا وتتخذ من الاقمشة المزهرة والمشجرة طبق ما تميل اليه المرأة ويتجاوب مع سجيتها .

لقد لبست المرأة العربية الجبة فى المشرق والمغرب ، فالمرأة المصرية كانت تلبس جبة من الجوخ فوق «اليلك» (17) فى فصل الشتاء لها كمان ينتهيان عند الكوعين مع انها تقور من أعلى ولا تلتقى حافتا طوقها فوق الصدر فتبقى مفتوحة وتكون بسيطة او مشغولة بالابرة .

والمرأة العراقية مثل اختها المصرية تلبس جبة مطروزة او بسيطة وفى بعض جهات العراق تلبس المرأة جبة حمراء او زرقاء او خضراء بينما العروس تلبسها طيلة شهر العسل (18) .

هذه جبة المرأة فى المشرق ولم نتمكن من وجود مصادر نستقى منها تفاصيل اكثر لقلة الدراسات فى مثل هذا اللون من الحياة الاجتماعية .

ويبدو لنا ان المرأة التونسية كانت أكثر اهتماما بالجبة ، وكانت تعدها اللباس الرسمى فى المحافل وفى المنزل وجبة المنزل بسيطة ومتواضعة .

وواصلت المرأة التونسية تعلقها بهذا الزى الى نحو الربع الاول من القرن العشرين ثم اخذ يتراجع وعوض بالفستان العصرى بعد الفوطة والبلوزة .

وبين أيدينا نص تاريخى يثبت لنا ان المرأة التونسية تلبس الجبة منذ عهد بعيد مما يدل على عراقة هذا الزى ، روى صاحب معالم الايمان : «ان أبا عمرو ميمون بن عمر الزاهد المتوفى سنة 310 هـ ، لما ولى القضاء على صقلية نزل بسوسة وهو فى طريقه اليها وقال مخاطبا أهل سوسة : يا أهل سوسة هذا كسائى وجبتى وخرجى به كتبى وهذه السوداء تخدمنى معها كساؤها وجبتها بهذا الخرج وانظروا بأى شىء سارجع» (19) .

---

(17) اليلك : ثوب نسائى مصرى يصل الى القدمين يلتصق اعلاه بالقامة وبه كمان طويلان .

(18) مجلة التراث الشعبى العراقية عدد 12 سنة 6 ص 221 .

(19) معالم الايمان للدباغ ج 2 ص 357 .

والمرأة كانت جبتها أقل اتساعا منجبةالرجل ويبلغ طولها الى نصف الساق وفتحة الصدر لا تتجاوز ربع المتر ولهـا كمان واسعان نسبيا ويصلان الـى المرفقين ، وتطرز المرأة الطوق والكمين بالحرير الملون واشرطة الفضة ذات الشكل الخاص منها مـا يسمى (الخواشيم) وما يدعى (الزلابيـة) وتتخذ من لونين زاهيين وتدعى (جبة انصاف) لتناصف لون قماشها .

كان جهاز العروس وشوارهـا يشتمل علـى أنواع من الثياب مـن بينهـا الجباب التى تبلغ احيانا فى الجهاز الواحد خمسين جبة واكثر واقل حسـب مقام الفتاة العائلى والاجتماعـى ، وكان الجهاز يضبط كتابة فـى صلب عقد النكاح ، ومن خلال بعض العقود توصلنا الى معرفة الوان الجبـاب وانـواع الاقمشة التى كانت تعتمد فى اتخاذها .

فمن انواع الاقمشة القديمة • الموبر ـ الاطلس ـ البسترى ـ القرمسود ـ المذهب ـ الصوف ـ الكمخة ـ الجوخ ـ الملف ، والكثير منها يجلب من المشرق .

والالوان الزوجية اعنى كل لونين يمثلان جبة الانصـاف : (احمر واخضر) احمر وسماوى ـ أحمر وفستقى ـ أحمر ووردى ـ نارى وازوردى ـ أخضر وعكرى ـ احمر مشجر واصفر ـ سماوى وعكرى ـ فاروزى وعكرى .

وفى هذه الالوان نرى اللـون الاحمر وما فى حكمه كالنارى والعكرى فـى كل الجباب ويصاحبه لون مغاير له •

وتطور التفكير فى اللباس عند المرأة فصارت جبتها من لون واحد زاه أو مشجر وتحت تأثير الغزو التركى والاوربى تركتها وفضلت لبس الفستان او الروبة كما نقول بتونس بعد الفوطة والبلوزة .

تقاليد الجبـــة : كانت جبة المرأة ذات وجهين ، وجه مطروز كما وصفنا وتبرز فى الاعراس والمحافل ، وفـى المآتم تبرز الوجـه الداخلى اى تلبس الجبة مقلوبة .

وفى فصـل البرد تلبس تحت الجبة القفطان او الدخيلة وهمـا دون طول الجبة وموشحان بالحرير ومن عادة الرجل لبس الجبة فوق الصدرية والفرملة والمنتان ويرسل فوق الجبة البرنس ، واحيانا يطوى البرنس ويجعله علـى كتفه او ذراعـه .

وفـي القديم كان الرجل يلبس فوق الجبة الحرام ويرسل عليه البرنس ، ويلبس (زوج توامة) اى برنسين اثنين الداخلـي ابيض والخارجـي داكـم اللـون .

ولباس الحرام فوق الجبة يبدو انه لباس موحدى اذ جاء فى معالم الايمان : « تولى أبو القاسم ابن يغيث واليا على القيروان من طرف السلطان الحفصـي ولما دخلها عليه جبة صباغ الله وحرام صوف يلبسه لام اليف لانه من كبار الموحدين » (20) .

وعاش هذا التقليد الى أوائل القرن العشرين وكان لباس الولاة واصحاب الحيثيات ونراه بوضوح فى صور عديدة منها صورة للقائد المرحوم الصادق بن محمود الجلولى المتوفى عام 1910 م اذ كان يظن انه الزى العربى الاصيل بينما هو زى موحدى حفصى .

ابو بكر عبد الكافى

الأدب معـانـاة أو لا يكـون !

محمـد مـزالى

(20) معالم الايمان للدباغ ط 1 ـ جزء 4 ـ ص 152 والحدث كان فى أول القرن الثامن الهجرى .

أسطورة البحر

شعر : علالة القنوني

حضن البحرُ السّواقيِ
واحْتَوَاهَا فِيه مَجْرَى
عذبة تُغري فتُرْوِي
وأقام البرزخ الواضح حدّا
أوَ يَخشَى البحرُ أن تفقد فيه
لونَها مدّا وجزرا ؟ !

* * *

عندما قام يصلي
شرب الملح خشوعا
مضغ الصخر ابتهالا
وطَوَى الأبعادَ تبشيرا ونَشْرا
وَيَدَاهُ تحملان التّخمَ لله اعترافا
فأناخ الله فيه لونَهُ الأزرق حبّا
وَبَرَاهُ أبْعَدَ الأعماقِ غوْرا أن
يكون
له عند النّاس آيّا

ثمّ أوحى لرمال الكون أن
تسجد للبحر خشوعا فأبتْ :
— « هو من آسنِ ماء
وأنا من ذهبٍ شعّ جَلالا
وسجودي لكَ يا ربّا تعالى
كيف أحني الرأس للماء امتثالا
من إذا مسته نارٌ ، ضاع في الجوّ
اندثارا ؟ ! »
قال : — « كوني تحت رجليه بساطا
وعلى جنبيه نثرا
ولك الوطْءُ إلى أن تُبعثِي قَسْرا
وعُسْرا »
— « خالقي — قالت — بما قدّرْتَ ،
ذرْني
أنزلِ الأرْض وأغوِ
الكوْنَ قَحْطا واصفرارا

أركبِ الريحَ سَمُوما تنشر العقم
نَكالا :. »
قال : — « لا سلطان للرمْلِ على
مائي
إذا ساحَ اخضرارا
وعلى ريحي إذا همّتْ بمن تهوى
انبهارا
انزلي بعضك بعضا حِمَمًا
واسكني القفر انعزالا . »

* * *

كبّرَ البحرُ وقد خرَّ سُجُودا
قال : — « حَمْدا للذي من سوأتي
قدّ جَمالا
فسقاني الملحَ طُهْرا
واصْطَفانِي مانحًا لي منه نَصْرا

* * *

واستَبَدّتْ غيرةٌ بالأفقِ فاسْوَدّ
غماما
قام يفري السّحْبَ يذري
يشعل الخطوَ احتداما
قال : — « أسعى ألْفَ بحرٍ
وأذلّ الأزرقَ المغرور بطشا وانتقاما»

ضجّتِ الأرض ولكنْ
ضحك البحرُ وأرسى موجَهُ فيه
قلاعا
ثم نام [!]مطمئنا
قال : — « وعدُ اللهِ حقّ وله
أسلمتُ أمري
وعلى عضديه أسندْتُ انهياري .. »
عندما فتّح عينيه صباحا ،
وجد الأنهار تأتيه ازدحاما .
— « سيدي البحرَ العظيمْ
ألَنَا في تخمك المَمدود مأوى ؟ »
قال : — « طبتُم فادخلوا بيتي كراما
واسكنوا دِفئي اختيارا
ولنا ما بيننا برزخ عدلٍ
يشعلُ الحقَّ منارا
ليَ لونٌ ،
ولكم لونٌ ،
وللحرية العلياء لون الليل
من بعد النّهارِ
فاحذروا أن تفقدوا
برزخكم بين البحارِ ... »

علاله الفنوني

في نظرية التطعيم الإيقاعي ريادة وإثبات للذات العربية

بقلم : محمد الصادق دمق

من المعلوم أن قضية اللغة قد استأثرت باهتمام اللغويين منذ اقدم العصور، الا أن هذا الاهتمام بقي منحصرا فى قضية اللفظ من حيث الاشتقاق وكيفية وضع المصطلح الجديد ، ودونت فى ذلك الامر العديد من الكتب اللغوية . واهتمت به المجامع اللغوية الحديثة .

الا أن اهتمام الاستاذ البشير بن سلامه كان اهتماما جديدا ، اهتماما يبحث عن مواطن القوة فى لغة العباقرة من المجيدين لعلنا نظفر بقانون يمكننا من معرفة الاسباب التى جعلت لغتهم تهواها النفوس وتميل اليها الارواح .

وعمل كهذا ، يتطلب تضلعا فى اللغة وتبحرا فى الادب .

والاستاذ البشير بن سلامه من بين من عرفتهم المحافل الادبية والفكرية مفكرا وأديبا كبيرا له عدة اهتمامات حيث كتب فى النقد ، والرواية ، والمقال السياسى ، والمقال الاجتماعى ، وبصورة عامة المقال الثقافى والحضارى حتى تجاوز صيته حدود وطننا الى الوطن العربى الكبير والى العديد من المحافل الدولية .

وهو معروف بمواكبته لمسيرة مجلة « الفكر » منذ ثلاثين سنة ، فهو رئيس تحريرها حاليا ، كما هو معروف بمؤلفاته التى منها :

- اللغة العربية ومشاكل الكتابة (1971) .
- الشخصية التونسية : مقوماتها وخصائصها (1974) .
- النظرية التاريخية فى الكفاح التحريرى التونسى (1977) .

ـ قضايا (1977) .

ـ عـائشة (1982) .

ـ نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى (1984) .

ـ لوحات قصصية (1984) .

ـ تاريخ افريقيا الشمالية الذى عربه بالاشتراك مع الاستاذ محمد مزالى .

ـ والمعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى الذى ترجمه كذلك مع الاستاذ محمد مزالى .

والاستاذ البشير بن سلامه من رواد الفكر الاول الذين سعوا الى تركيـز مبدا التونسة بما تحمله من معانى الاصالة والتفتح حيث كان الادب التونسى عند بداية فجر الاستقلال شبه نكرة لا يعترف به معظم التونسيين أو غيـر التونسيين ، وكان الاسماء التى كانت تتردد على الافواه لا تتعدى ابن خلدون، وابن رشيق ، والشابى ، فى حين تكثفت العزائم وأعيد الاعتبار الى النفوس وأمكن تجاوز عقد النقص التى كانت مسيطرة على الارواح ، وبذلك وقع احياء جزء هام من التراث الفكرى التونسى ، وذلك نتيجة للتشجيع الذى وجـدته الاسرة الادبية التونسية من طرف الدولة بقيادة المجاهد الاكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ومن طرف الشخصيات الفكرية التى تبوأت مركز الريادة وفى مقدمتها الاستاذ محمد مزالى الذى بعث الى الوجود مجلة « الفكر » التى قامت وتقوم الى الآن بدور هام فى ابراز ونشر نتاج الطاقات الخلاقة التونسية .

وقد وجد الاستاذ محمد مزالى فى زميله وصديقه الاستاذ البشير بن سلامه رفيق الدرب فى هذه المسيرة الفكرية الرائدة حيث يشير شخصيا عند تقديمه لكتاب : « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » قائلا : « وهكذا عرفنى وعرفته فى « الميدان » ... فقد توفرت عناصر التعاطف والتقدير والمحبة ، اذ جمعنا نضال واحد تحت لواء حزب جماهيرى تحريرى واحد . وشدت بعضنا الى بعض قيم عليا واحدة ومبادىء سامية مشتركة » ـ الى أن يقول : « انه يغار على اللغـة العربية و « يؤمن ايمانا عميقا بأنها من مقومات كياننا وشخصيتنا » ويسلم بعظمتها و « بقداستها وغزارتها وقوتها واعجازها » ولكنه يتساءل فى شجاعة وصدق عن « حظ لغتنا من التقدم الفكرى وقدرتها على أن تحمـل رسـالة التقدم » وعن الحد الذى تصل امكاناتها اليه والعوائق التى تجدها فى طريقها،

ثم هو يصدر حكمه مؤكدا أن اللغة العربية « رغم حيويتها وغزارتها وطاقاتها الكامنة فيها لم تحتضن روح العصر ولم تتجاوب فى كلماتها وعباراتها مع اهتمامات ومشاغل أهل العصر ، ولم يفجر منها أصحابها المعانى والآراء التى تهز وتقلقل الفكر العصرى » (1) .

منطلقات نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى :

حين تكون المنطلقات الفكرية ذات ابعاد ثرية فان الدراسات التى تتناولها بالنقد والتمحيص والاستنتاج تكون متنوعة ومتعددة تحمل فى طياتها الطريف الذى لا ينضب معينه ما دام على صلة مستمرة بالدفق المتواصل من النبع .

فهذا الكتاب من الحجم المتوسط عدد صفحاته سبع ومائة صفحة صدر عن عن الدار التونسية للنشر فى شهر أفريل 1984 ، وهو مقسم الى سبعة أبواب هى على التوالى :

- التمهيد .
- تطور الجملة العربية عند المولدين .
- الكلام واللغة .
- الحد من التفاوت بين الفصحى والعامية .
- العوامل الباعثة للغة طه حسين - نثر طه حسين - .
- تطور الجملة العربية فى الادب الافريقى .
- نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى .

المنطلق الاول لوضع النظرية :

وجوب خدمة اللغة العربية ايمانا من الكاتب بأن الفصحى قد « تطورت على أساس أنها لغة الحياة وأن هناك سرا لغويا لا بد من استشفافه وهو الذى جعل هذه اللغة لا يكون مصيرها مصير اللاطينية ولن يكتب للهجات العامية العربية أن تصبح مكتوبة » (2) .

---

(1) من كتاب : «اللغة العربية ومشاكل الكتابة» - ص 12 و ص 15 .
(2) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » - ص 10 .

لهذا فهو يؤمن بقدرة العربية على التطور وأنها المقـوم الاول من مقومـات حضارتنا العربية الاسلامية التى يجب مواصلة تطويرها .

المنطلق الثانى هو المعاناة :

يشير صاحب النظرية فى مستهل كتابه الى ما كان يعانيه من صعوبة فى اختيار اللغة التى يريد التعبير بها عما يجيش فى خاطره ويعتلج فى عقله منذ شبابه المبكر ، اذ وجد نفسه مع من لهم نفس هاجس الكتابة أمام اختيارات ثـلاثة :

إما الكتابة بالفرنسية .
أو الكتابة بالعامية .
أو الكتابة باللغة العربية الفصحى .

ورغب الكاتب منذ شبابه عن الوسيلتين الاولبين ، وكان اختيـاره للغـة العربية الفصحى لغة للكتابة والابداع . الا أن أمرا ذا بال لاح له وشغل فكره ويتمثل فى تفطنه « الى أن ما تزخر به العامية من جوانب لصيقة بواقع الناس وحياتهم المتطورة يوما بعد يوم لا يمكن تضمينها بالفصحى بكل يسر » (3) .

ولقائل أن يقول : هل هذه الجوانب تتمثل فى كثرة الالفـاظ التى قد لا نجد لها الفاظا مثيلة فى اللغة الفصحى أو هناك معان جديدة لم تضمـن بعد باللغة العربية ؟

ويجيب الاستاذ البشير بن سلامه عن هذا السؤال الضمنى قائلا : « تكمن المشكلة فى خلو الجمل من هذا النفس الذى يجعل الفصحى لغة اليوم تعبـر بكل طلاقة ويسر عن دفق الحياة الجديدة وتفسح بالسلاسة المطلوبة عن أخص خصائص تموجات واقع الناس والمجتمع » (4) .

المنطلق الثالث هو التجربة :

وجد الاستاذ البشير بن سلامه واقعا معينا يتمثل فى الصراع بين العامية والفصحى ، لا من ناحية الالفاظ والمعانى فحسب ، وانما فى حرارة الحياة التى

(3) من كتاب : «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى» ــ ص 8 .
(4) من نفس المصدر ــ ص 9 .

نجدها أحيانا فى العامية هذه الحرارة الحياتية التى « قد تشح فى كثير من الاحيان على الفصحى » (5) .

ومع ذلك فقد تعمق فى دراسة آثار العباقرة المجيدين من الكتاب والشعراء الذين كتبوا باللغة العربية والذين أقر لهم الناس والنقاد بالنبوغ فوجد عندهم ضربا من الانتاج الطريف المتميز عن انتاج غيرهم ممن لم يبلغوا هذه الدرجة من العبقرية .

وهنا لم يكتف بهذا الشعور .

وانما وضع تساؤلا كان الركيزة الاولى لهذه النظرية .

وهذا السؤال هو : « لماذا ابتدعوا ضربا من الكتابة أو من الشعر جديدا ؟ وكيف ذللوا مشكل الفصحى والعامية ؟ » (6) .

المسار التجريبى :

اعتمد الاستاذ البشير بن سلامه فى مساره التجريبى على دراسة الآثار الادبية الراقية ، واستخلص من بعض الآثار التى توفرت لديه ايقاعات كان ماتاها من اللهجة العامية ، ودعا الى مواصلة دراسة الآثار الادبية الراقية منذ أقدم العصور والتى تندرج ضمن موجات التجديد التى عاشها الادب العربى انطلاقا من المولدين لمحاولة ضبط كيفية تطور الجملة العربية أسلوبا وشكلا عند العباقرة المجيدين لكن بطريقة جديدة تعتمد أحدث نظريات العلوم اللسانية لاستخلاص الايقاعات المتأتية من العامية أو من لغة أجنبية والمتضمنة فى ايقاعات اللغة العربية الفصحى بطريقة عفوية دون تصنع أو تكلف .

النتائج الأولى :

تفطن الاستاذ البشير بن سلامه الى « أن الخلاقين الذين طوروا الجملة العربية وأعطوها نفسا جديدا انما هم قلة قليلة » (7) . وأن لغتهم الفصحى المتطورة التى كتبوا بها « لم تتطور بالالفاظ والمعانى فقط بل بالايقاع » (8) .

(5) من نفس المصدر ـ ص ١٥ .
(6) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » ـ ص ١١ .
(7) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » ـ ص ١٥ .
(8) من نفس المصدر ـ ص ١١ .

مفهوم الايقاع عند الاستاذ البشير بن سلامه :

للاستاذ البشير بن سلامه عدة تحديدات لمفهوم الايقاع يكمل بعضها البعض للوصول الى صيغة شاملة تركز معطيات الايقاع وجوهره في العقول ، ومنها ما كتبه في مجلة « الفكر » فيفرى 1985 : « وعندما أقول ايقاعات لا أعني البحور والاوزان الخليلية لان هذه انما هي مقاييس أرادت أن تضبط هذه الايقاعات ، ولكن الايقاعات الحقيقية هي في نفوس الشعراء ، ولم يحصر الخليل في الواقع الا بعضها الذي كان متداولا في ذلك الزمان ، وهذه هي القضية الكبرى في الواقع للشعر العربي في عصرنا الحاضر والتي أمكن للشابي بعبقريته أن يحلها اذ هو حافظ على ايقاعات الشعر العربي الاساسية وكرع من ايقاعات الحياة العصرية بالاندماج في شعبه والتفاعل مع لهجته فطعم بها لغته الشعرية فأتت متلائمة مع ما ينتظره الجمهور المتشوق للادب لأنه كما يقول الفيلسوف الفرنسي « الآن ALAIN » : « إن ما يختص به الشاعر أولا هو أن يكون قويا بايقاعه » (9) .

كما حدد صاحب النظرية مفهوما آخر للايقاع يزيد في وضوحه وتقريبه الى الاذهان فقال : « ... هو كمية موزونة وقيمة معنوية في آن واحد . هو الوزن ووقعه . نحدد الوزن وتقارب الوقع . لذلك تتماثل الوحدات الصوتية في التطعيم الايقاعي بالقدر الذي تتغاير فيه قيمها المعنوية . وعلى هذا الصعيد لا بد لنا أن نعلم بالنسبة الى الشابي مثلا مدى وقع اللهجة التونسية على الفصحى التي تعلمها ومدى تفاعل النظامين اللغويين وما أفرزه هذا التفاعل « كلسان » خاص بالشابي ؟ » (9 مكرر) .

ربط النتيجة بالسبب :

لم يكتف صاحب النظرية بهذا الشعور المتمثل في الاحساس بما يميز لغة العباقرة عن غيرهم من الكتاب العاديين ، بل فتش عن السبب محللا معللا الى أن وجد هذا التطعيم لايقاعات الفصحى بايقاعات من اللهجة العامية ليس فيه نشاز أو ضحالة وانما فيه من التنغيم ما جعل النفوس تميل اليه لانه مأخوذ من واقع اعتادته ، وتفكير مألوف وحياة ألفتها وسلوك سارت حسب انماطه .

---

(9) من مجلة « الفكر » ـ فيفرى 1985 ـ ص 5 و 6 .

(9) مكرر من مجلة «الفكر» ـ نوفمبر 1984 ـ ص 24 .

وفى هذا الصدد يقول صاحب الكتاب : «إن كل عبقرى أضفى على الجملة العربية نمطا جديدا غير به ايقاع صياغته ونظامها فانه قدر فى الحقيقة على اقحام ايقاعات لهجته العامية المحلية فى الفصحى وتطعيم صوغه لها بهذه الايقاعات من كلامه » (١٥) .

كيفية استخراج هذه الايقاعات :

الى جانب تقديم صاحب الكتاب لعينات من هذه الايقاعات من خلال آثار طه حسين والشابى ومحمود المسعدى جعل المجال مفتوحا أمام الدارسين لمحاولة التقدم خطوة جديدة فى ميدان التدعيم التطبيقى لهذه النظرية سعيا وراء توفير الامكانات لدراسة هذه الايقاعات دراسة مخبرية تعتمد على أحدث الآلات الالكترونية القادرة على ضبط الايقاعات والمقارنة بينها .

وانتهى صاحب النظرية الى نتيجة عبر عنها قائلا : « وانتهيت الى حقيقة اعتبرتها بديهية بالحدس لا محالة **وتنتظر التدليل بالحس والاختبار** ، وهو أن كل كاتب أو شاعر مبدع طور الجملة فى النثر أو فى الشعر انما قدر على ذلك لانه وفق الى أن يطعم الفصحى بايقاعات لهجته العامية ، وأن قضية الابداع فى الكتابة انما هى هذا التفاعل بين ايقاعات العامية والفصحى ، وأن قضية الشعر العربى من حيث الشكل ليست فى التفعيلة و غيرها ، بل **تكمن فى البحث عن الوحدة الايقاعية** » (١١) .

بعض نتائج فتح المجال امام الباحثين :

من النتائج الاولى التى تمخضت عن فتح المجال أمام الباحثين لدراسة هذه الظاهرة ما توصل اليه الاستاذان عبد الرحمان أيوب وصالح الكشو وهما من ضمن الفريق الذى يدرس هذه النظرية فى بيت الحكمة .

وما توصلا اليه هو قراءة باللهجة العامية لقصيد الشابى الذى عنوانه : « للتاريخ » ، والمنشور باللغة الفصحى :

البؤس لابن الشعب ياكل قلبه والمجد والاثراء للاغراب
والشعب معصوب الجفون مقسم كالشاة ، بين الذئب والقصاب

---

(١٥) من كتاب : «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى» ــ ص 94 .
(١١) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » ــ ص ١١ .

والحق مقطوع اللسان مكبل والظلم يمرح مذهب الجلباب
هذا قليل من حياة مرة في دولة الانصاب والالقاب

وقراءة هذا القصيد باللهجة العامية التونسية تكون كما يلي :

البؤس لِبْنِ الشّعب ياكلْ قلبو ولمْجدْ ولِلْشْرا لِلْغْراب
والشعبْ معصوب جِفْونْ مْقسم كي الشّاة بين الذيبْ والقصّابْ
ولْحقْ مقطوع لْسَان مْكبلْ وظْلمْ يَمرح مْذهب لْجلبابْ
هذا قْليلْ مِن حْياةْ مْرّةْ في دَولة لْنْصابْ ولْقابْ

استنتاجات على الصعيد الايقاعي :

« صيغ هذا القصيد بناء على ايقاع تونسي يمكن وزنه من ناحية الكم بحسب الاسباب والاوتاد والفواصل المعهودة في الشعر الشعبي التونسي (الملحون) » (12) .

على الصعيد النحوي :

التركيب الفصيح : يأكل البؤس قلب ابن الشعب (**جملة فعلية**) .

أو : البؤس يأكل قلب ابن الشعب (**جملة اسمية**) .

التركيب في البيت : البؤس **لابن الشعب** ياكل قلبو .

وهنا يتساءل صاحب النظرية قائلا : « فهل ما حدث هو مجرد تحويل نحوي داخل الفصحى ؟ ـــ (وذلك لتقديم الجار والمجرور «لابن الشعب») « أم هو مجرد ضرورة شعرية ؟ » .

ثم يجيب : « انه أكثر من ذلك » فهو نتيجة لاحتكاك مستويين لسانيين من ناحية التراكيب النحوية . وكذلك من ناحية المستوى الذهني .

وللمزيد من توليد الافكار وتقديم الأدلة يرى صاحب النظرية :

أن فعل أكل الموجود في البيت يتطلب عادة فاعلا ماديا .

أو على الاقل متعارفا حتى يخف في التقبل الذهني ، مثل : الخصاصة ـ الفقر فنقول : أكلته الخصاصة ـ أكله الفقر .

---

(12) مجلة « الفكر » ـ نوفمبر 1984 ـ ص 25 و 26 .

أما التعبير : البؤس أكل قلبه. فهو أقرب الى التعبير في العامية ، للشكل فنقول : البـؤس (كلاَلُو + كَلاَلَهْ) (قَلْبُو + قَلْبَهْ)

وبذلك فالتلاقح بين المستويين اللغويين أدى الى توليد لغوي فيه جمـال وفيه قدرة على التفاعل مع نفسية القارىء حيث يجد نغما مألوفا الى النفس تستسيغه الاذن فتهواه الروح وتقع عليه العين فيتغلغل الى أعماق النفس ويبقى عالقا بالذهن .

الاستنتاجات العامة :

ـ نظرية التطعيم الايقاعي لا تدعو الى العامية ، بل تسد الباب أمام المنادين بوجوب استعمالها . وهذا ما نجده بصريح قول الكاتب : « واني أريـد أن أنبه مرة أخرى أنني لا أدعو الى العامية ولا الى الاستعاضة عن الفصحى بلهجة من اللهجات » (13) .

ـ ان اللغويين الذين تحدثوا عن الفصحى والعامية انتصر فريق منهم الى العربية الفصحى نابذا كل تطور لا يعتمد على الطرق التقليدية المعروفة ، أما الفريق الثاني فقد نادى باستعمال العامية في سياق الكتابة ، في حيـن أن الفريق الثالث نادى بالبحث عن لغة ثالثة تأخذ من العربية الفصحى ومن اللهجات العامية .

أما الاستاذ البشير بن سلامه فهو ليس من هؤلاء ، جميعا وانما هو واضع لفرضية « هي هذه العلاقة بين نوعية الايقاعات في العامية وتداخلها في ايقاعات الفصحى عند العباقرة من الادباء العرب » (14) .

وهذا مفهوم جديد لم يسبقه اليه أحد ومن هنا جاءت ريادته في هـذا الميدان ، لذا نقول بصراحة انها نظرية جديدة ، بل نعتز بـذلك لانـه أمر

(*) راجع نص الكلمة التى افتتح بها الاستاذ البشير بن سلامه الندوة العلمية الملتئمة بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة أبي القاسم الشابي . والمنشورة بمجلة « الفكر » ـ نوفمبر 1984 ـ من ص 21 الى ص 26 والتى جعلها تحت عنوان : « الشابي والايقاع الشعري » .

(13) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى » ـ ص 95 .

(14) من نفس المرجع ـ ص 11 .

واقعي ، وما أحوجنا الى الاعتزاز بالذات مع توخى الموضوعية والصراحة والصدق .

ومن ناحية أخرى فان صاحب النظرية متيقن أن الوصول الى ابراز هذه الايقاعات الكامنة فى اللغة العربية الفصحى سيغير الكثير من المعطيات النقدية الحديثة حيث يقول : « ولا يخفى على القارىء الكريم أنه اذا قدر لهذه النظرية أن تجد التطبيق العلمى عن طريق المخابر فانها ستقلب الكثير من المفاهيم اللغوية المعروفة فى الشعر والنثر أو على الاقل تضعها محل الشك .. » (15) .

ثم ان الاستاذ البشير بن سلامه لا يبحث فى أصول العامية ، وانما اعتبر اللهجة العامية ظاهرة موجودة واللغة العربية الفصحى قادرة « باعجازها وطاقاتها الكبرى على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكاملة فى نحوها مع الارتباط بواقع أهلها المتحول المتحرك الذى تعتبر اللهجة المحلية جزءا منه يحمل خلاصة الحياة المعيشة ويترجم عنها حق الترجمة ، ولكن تبقى الفصحى دائما هى القادرة على السمو بذلك الواقع وتلك الحياة وهذا سر من أسرار بقائها » (16) .

أصداء النظرية :

أثارت هذه النظرية اهتمام العديد من المهتمين باللغة من المفكرين والنقاد.

ومن ذلك : الندوة الادبية التى شارك فيها عدد من النقاد بحضور الاستاذ البشير بن سلامه وقد قدموا بحوثا تناولت العديد من جوانب النظرية (*) والدراسة القيمة للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي التى جعلها بعنوان : « نظرية جديدة فى اللغة عند البشير بن سلامه » ونشرها بمجلة « الفكر » ـ أكتوبر 1984 (**) وكذلك دراسة للاستاذ محمد كمون نشرها بجريدة « الصباح » ، وجعلها بعنوان : « الجانب الابداعى فى نظرية التطعيم الايقاعى .. » (***) .

---

(15) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » ـ ص 12 .

(16) من نفس المصدر ـ ص 94 و 95 .

(*) التأمت هذه الندوة الفكرية بقصور الساف بتاريخ 14 أوت 1984 .

(**) راجع هذه الدراسة المنشورة بمجلة « الفكر » ـ أكتوبر 1984 ـ من ص 87 الى ص 90 .

(***) راجع جريدة « الصباح » بتاريخ 1984/12/13 ـ ص 9 .

كما نشرت جريدة « الصباح » في باب : « قضيـة الثلاثـاء » مجموعة من المقالات النقدية الى جانب ما نشر في جرائد ومجلات أخرى .

بعـض الاستخـلاصـات العـامـة :

ليس جديدا أن يقع تناول كتاب بالعرض والتحليل والنقد ، وليس غريبا أن تتباين الآراء حول هذه النظرية وتختلف المواقف منا ، ولكن المنطق يفرض على كل باحث أن يتروى في الدراسة ويتأنى في اصدار الاحكام حتى يتمخض عن الجدل الفكري النزيه نتاج مثمر يزيد النظرية تبلورا ومبادئها رسوخا لفائدة تطوير اللغة العربية .

ومن الاستخلاصات التي ذهب اليها أحد النقاد أن الاستاذ البشير بن سلامه قد أقام نظريته على عدة أسس : « منها أن الروح المحلي خالد متواصل الوجود رغم اختلاف العصور والثقافات واللغات » ، وقد سعى الناقد الى اثبات بطلان معنى الخلود ذاهبا مذهبا غريبا في اعتبار أن مفهوم الخلود لهذا الروح يعني عدم التطور . ثم ان التطور يجعل الروح المحلي لبلد ما يختلف من مكان الى آخر حسب الظروف والمؤثرات ، وبالتالي فان الروح المحلي الذي اعتمد في النظرية لاستنباط الايقاعات من اللهجة العامية متغير ومتحول وليس له سمات واضحة . لذا لا يمكن اعتماده ـ حسب رأى الناقد ـ وبذلك ينعدم الركن الاساسي لهذه النظرية .

والرأي عندي أن التطور في البيئات المحلية لا يكون تطورا فجيئا يقطع الصلة بالماضي ، وانما هو تطور متأن متزن يتخلى عن المعطيات التي لا تتلاءم مع حياة الناس ويتبنى ما قبله معظم الناس .

وهذا ما جعل اللهجة العامية في نظر الاستاذ البشير بن سلامه فيها ما نجده مفقودا أحيانا في اللغة العربية الفصحى حيث يقول في مقدمة كتابه : « وفطنت الى أن ما تزخر به العامية من جوانب لصيقة بواقع الناس وحياتهم المتطورة يوما بعد يوم لا يمكن تضمينها بالفصحى بكل يسر . وليست القضية قضية ألفاظ ولا هي رهينة زخارة المعاني ، بل ان المشكلة الاساسية انما تكمن في خلو الجمل من هذا النفس الذي يجعل الفصحى لغة اليوم تعبر بكل طلاقة ويسر عن دفق الحياة الجديدة وتفصح بالسلاسة المطلوبة عن أخص خصائص تموجات واقع الناس والمجتمع » (17) .

---

(17) من كتاب : «نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى» ـ ص 9 .

وهذا لا يعنى أبدا أنه يتبنى اللهجة العامية ، ولكنه يدعو الى دراستها لمعرفة بعض خصائصها الايقاعية التى قد يكون تأثر بها المجيدون من الكتاب والشعراء لتطعيم اللغة العربية الفصحى بهذه الخصائص .

على أن لهذا التطعيم مفهوما خاصا فى نظر الاستاذ البشير بن سلامه حيث يقول فى الكلمة الافتتاحية للندوة العلمية الملتئمة بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة أبى القاسم الشابى : « وليس التطعيم هنا مجرد الاحتكام الى خلايا دخيلة نحاول زجها فى الحلية الاولى (الحلية المتقبلة) كما هو معروف فى ميدان الجراحة (مثلا عبارة : تطعيم القرنية) . فالتطعيم الذى نعنيه ليس تركيبا وتاليفا فقط ولكنه تعبير كذلك .. » (18) .

واذا فرضنا وجود هذا الاختلاف فى الروح المحلي للبيئة الواحدة فهل يعني ذلك القطيعة المطلقة ؟

ليس هناك قطيعة ولكن هناك ترابط بين الاجيال ، هذا الترابط الذى يكون رصيد الاصالة والطابع المتميز لكل شعب من الشعوب .

واعتقادى أن الروح المحلي للبيئات التونسية متقارب واللهجات العامية على ما فيها من اختلاف جزئى بسيط تجمع بينها خصائص مشتركة يمكن استخراجها بالدرس والتمحيص .

هذا وقد تساءل ناقد ثان عن مدى صحة اعتبار نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى للاستاذ البشير بن سلامه نظرية جديدة ، وقد ذهب مذهبا يتمثل فى أنه يعرف العديد من اللغويين الذين سبقوه فى هذا الميدان وذكر فى معرض تحديده للاطار التاريخى لهذا المذهب المتمثل فى ابراز الايقاع من خلال النص العربى انه : قبل أعوام قليلة صدر كتاب للاستاذ محمد العياشى بعنوان : « نظرية ايقاع الشعر العربى » .

وهنا أتوقف عند هذا المرجع الذى ذكره الناقد لأبين أن هذا الكتاب قد طبع سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف ـ 1976 ـ فى حين أن الاستاذ البشير بن سلامه قد وضع الاسس الاولى لنظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى فى كتابه « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » الذى طبع سنة احدى وسبعين وتسعمائة وألف ـ 1971 ـ .

---

(18) مجلة « الفكر » ـ نوفمبر 1984 ـ ص 23 .

ولعل رجوعي الى كتاب « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » لبيان السبق الذى أحرزه الاستاذ البشير بن سلامه على الاستاذ محمد العياشى مأتاه التناسق فى التصور بين كتابيه « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » و « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » حيث نجد فى الكتاب الاول قول الاستاذ البشير بن سلامة : « فالقضية اذن هى ليست فى ابتكار الاسلوب فحسب لان ذلك من السهل ايجاده ، بل فى خلق نمط من اللغة جديد يتطلب فى الحقيقة ادخال ايقاعات وموسيقى لم توجد من قبل ، أى دفع اللغة على أن تبنى بناء جديدا وهذا هو صلب القضية » (I9) .

فاللغة المتطورة تكون بهذه الايقاعات المأخوذة من الواقع ، من الحياة اليومية ، ولكن عن طريق العباقرة من الكتاب والادباء « فالكاتب المجدد فى لغته هو الذى يتجاوز الاسلوب الى خلق نمط من اللغة يخلده الى أبد الآبدين كالجاحظ والتوحيدى وغيرهما » (20) .

وبعض المعانى الواردة فى كتاب « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » نجدها فى سياق جديد واطار مبتكر فى كتاب «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى» حيث يقول الكاتب : « ... ان اللغة ـ أية لغة ـ وخاصة الفصحى لم تتطور بالالفاظ والمعانى فقط بل بالايقاع ... » (2I) .

ولهذا فانى اعتبر نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى جديدة تسد الباب على من يدعو الى العامية لان النظرية فى جرهرها دعوة ملحة الى التخلي عن فكرة تعويض الفصحى بالعامية ، وهذا ما نجده فى كتابه حيث يقول : « لماذا أبحث فى العامية والحال أننى لا أتعصب لها ولا اعتبرها قادرة على السمو ، بل اننى أتعصب للفصحى ما دامت متجاوبة مع روح العصر صادقة فى التعبير عن نفس الحياة فى البيئة التى تنبع منها » (22) .

وفى هذا السياق لا بد ـ فى نظري ـ من ذكر ما أورده صاحب الكتاب قائلا : « ان كل عبقرى من عباقرة العربية الفصحى ـ بز غيره فى ميدان الخلق الادبى والفكري مشرقيا كان أو مغربيا ـ لم يخلد فى مجال الادب ولم

(I9) من كتاب : « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » ـ ص I2I .
(20) من كتاب : « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » ـ ص I2I .
(2I) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى في الفصحى » ـ ص II .
(22) من نفس المصدر ـ ص 7I .

يكتب لآثاره البقاء ولم تكن اضافته اللغوية ذات بال الا لانه عرف كيف يضمن لغة الخلق عنده ما فى لغته العامية من ايقاعات ونبضات ونبرات وشحنة موسيقية **من دون أن يدخل الضيم على الفصحى ويمس بعبقريتها** » (23) .

واذا كان أحد النقاد قد ذهب الى أن صاحب النظرية قد دعا الى تطعيم الفصحى بالعامية فأنا أتساءل بكل موضوعية : من أين جاءت الدعوة الى تطعيم الفصحى بالعامية فى هذه الفكرة الاساسية لهذه النظرية ؟ واذا انتفت فكرة المناداة بتطعيم الفصحى بالعامية انتفت فكرة الاستحالة بالنسبة للبحث عن الايقاعات التى قد تكون موجودة فى اللغة العربية الفصحى والتى ماتاها من العامية عن طريق عباقرة الادب العربى عبر العصور .

ان سد الابواب فى وجه المبدعين الخلاقين ذكرنى ـ مع الاسف ـ بما كان العباقرة يلاقونه من صد ومجابهة عبر العصور المختلفة ، فالكتاب والشعراء والعلماء الذين أتوا بالجديد كثيرا ما وجدوا من دعاة التقليد المعارضة الى حد التشهير أحيانا ... ولا فائدة من سرد الامثلة على ما لاقاه عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، وابن رشد ، وطه حسين ، والطاهر الحداد ، والشابى ... لانه معروف عند الدارسين لمسيرة الفكر والادب عبر العصور .

ان اصدار أحد النقاد الحكم بالاستحالة على تحقيق فكرة التطعيم الايقاعى فى وقت مبكر شرعت فيه العديد من الكفاءات التونسية فى الدراسة الميدانية المركزة الى جانب ما حققه واثبته صاحب النظرية أمر لا يتماشى مع ما يدعو اليه المنهج العلمى من ترو وتثبت وتمحيص اعتمادا على الاسس الهامة التى أقيمت عليها النظرية .

إن النقد النزيه لا يعنى المجاملة من ناحية ولا يعنى التحطيم والهدم وذكر السلبيات فقط ، وانما ابراز الايجابيات لاثرائها والتنبيه الى ما قد يبدو من سلبيات لتجنبها خاصة والنظرية فى منطلقاتها الاولى وهى تستدعى الكثير من البحث للوصول الى أطيب النتائج .

لقد حاول أحد النقاد تحطيم الاسس التى قامت عليها هذه النظرية بالاسقاطات المتلاحقة للدعامات التى تقوم عليها لايهام القارىء أن أسسها واهية • وقد بلغ به الامر الى اتباع طريقة استبلاه المفكرين الى درجة أنه قال :

(23) من كتاب : « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » ـ ص 72 و 73 .

« ولو انى قدمت النص التالى على أنه لطه حسين » وتعشق واحدة ، فلم يزل بنبعها ويبكى بين يديها حتى رحمته ، وكانت مكثرة وكان مقلا » « لانطلى على الكثيرين أنه له وهو فى الحقيقة للجاحظ » .

أين الامانة الادبية ؟ ومن أدرى الناقد أن الكثيرين ينطلي عليهم الامر ، فنحن لسنا فى مستوى التمويه والمغالطة ، وانما فى أقصى درجات البحث والدراسة اعتمادا على التجربة والتخصص وحتى الاستعانة بالاجهزة الحديثة القادرة على دراسة المقاطع المستوية والنبرات .

الآفاق المستقبلية للنظرية :

إن نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى نظرية مقامة على البحث الموضوعى ولم يدع صاحبها انها متكاملة العناصر ، وانما هى نظرية طرح صاحبها أسسها الاولى ووضع معالمها بصورة اجمالية وترك الباب متفوحا أمام العزائم الصادقة لتثري التجربة الرائدة لعلنا بذلك نساهم فى تطوير لغتنا العربية التى لا نرضى أن تفقدها اللهجات العامية أصالتها وصفاءها .

ان الاعتزاز بالذات يمكننا من تطوير الثقافة العربية الاسلامية التى من مقوماتها اللغة العربية الفصحى التى نريدها جميعا لغة متطورة حية قادرة على التفاعل مع الحياة العصرية لاجيال تجابه الكثير من التحديات الثقافية والحضارية ، وعليها أن تنطلق من أعمال ميدانية رائدة تثبت الجذور وتمنع من التحجر والتجمد وتساير دعوات التفتح بالمقدار الذى يضمن تطورنا مع الحفاظ على شخصيتنا العربية الاسلامية .

وهذه النظرية اثبات للذات العربية من خلال الفصحى وفيها ما يضمن تطويرها دون أن تفقد رصيدها العريق الذى مكنها من الصمود فى وجه كل دعوات التغريب والتهميش والتعويض .

وهذه المساهمة فى ملاءمة لغتنا لهذه العصور الحديثة ليس عزيزا على الشعب التونسى الحر الذى ركزت فى بلاده منذ الاستقلال مؤسسات علمية وثقافية تسهل للمختصين من أبنائه تحقيق ما يتماشى مع عبقريتهم ونبوغهم فى خط استمرارى لما وصل اليه العديد من اعلام هذا الشعب .

محمد الصادق دمق

القبلة

قصة : ريم العيساوي

غرفة ضيقة ، ذات أثاث مبعثر بال ، أدباشها مغبرة داكنة ، اتخذت لونها من ظلمة معتمة ، سرير حديدي صغير يقبع في الركن يشبه أسرة السجون ملاحفه مبقعة بالحبر والادران ، مخدته مهترئة تبدو أشلاؤها من غلافها كامعاء كبش مذبـــوح .

الكتب المتراصة على الرفوف عديمة النظام منها المقلوبة ومنها المتارجحة . نور الكهرباء شاحب كالغروب ، يجعل من أثاث الغرفة أشباحا وهامات يتوسط الغرفة رجل منكب على الكتابة ذو لحية غزيرة سوداء ومرسلة تجعل منه رجلا كهفيا ، أما شعره فهو مخرص أشعث يدير خصلاته بسبابته في حركة رتيبة آلية . قميصه مزرر بكيفية متداخلة يكشف عن صدره أما سرواله فهو قصير فقد زرقته،وابيض الالوان والاضواء تبدو محتضرة والغرفة تعكرت بروائح التبغ والندى والكتب القديمة ، روائح عطنة تبعث على التقيؤ .

ـ كم أنا شقي حينما أرى ان وجودي في الحياة لا معنى له ، يجب ان أكتب يجب أن أخط على هذه الاوراق البيضاء كتابي . انه يعذبني ٠٠ يعج في داخلي ويقطع على أنفاسي ان لم اكتبه سيبدده الزمان وتدوسه الايام ويبتلعه النسيان وتضيع آمالي ومطامحي ٠٠

ويتناول الريشة ويحاول ان يقلع الكلمات من الجدار ومن السقف ومن ذلك النور اللاهث ٠٠ يكتب سطورا ٠٠ ثم يترك الريشة تسقط على المكتب ويسند ظهره الى الجدار ويخاطب نفسه : « انى أشعر بتعب لا متناه ، أشعر بكل قواى تتحجر . الضيق ! المأساة ! الابداع ! الجمال ! الخيال ! الحقيقة كلها أشياء تتلاشى وتتمزق في دماغي .. لقد اصبحت تابوتا يحوى

عظاما وأشلاء بشرية ... الكلمات لا أشتم منها رائحة الحياة ولا حتى رائحة المـــوت ... أين أبطالي ؟ أين ايحائي ؟ أين أفكاري ؟ ما رسم علـى هـذه الورقة ليس الا « خربشة » صبيانيـة لا أثر فيهـا للفن والجمـال .. هـذه الكلمات التي ترمقني بعيونها الحمقاء جامـدة خرسـاء ... رباه ! هذه هـي الهزيمة ... انه الهوس انه الجنون بعينـه . كيف يمكن للانسـان ألا يقدر على الكتابة ؟ كيف يمكن للحقيقـة ان تنفلت مـن عقله ومخيلته ومـن بين يديه ؟ »

يشتد انفعاله ، يقف يشق الغرفة ذهابا وايابـا في حـركـة جنـونية ، تتأرجح يداه في الهواء وينصب العرق من شعر لحيته وحاجبيه ، يقف لحظة يغمغم ثم يجري نحو مكتبه يقبض على الورق المكتـوب ويمزقه قطعا صغيرة صغيـــرة .

أنا محكوم علي بالعزلة والنسيان .. لن أكون كـاتبا لان الكتـابة أمـر عسير لدى .. سوف لن أبصر الحقيقة لانني أعمى .. أنا شقـي لان الكتابة تمنح صاحبها أسعد لحظـات حياته .. ستبقى قصتـي مدفونة فـي صدري وسيبقى كتابي منسوخا ومطبوعا ومنشورا ومبيعا فـي مخيلتي ، ستمـوت الحقيقة في صـدري أواه مهزلتي ! .. ليس فـي هذه الغرفـة مـا يستحـق البقاء .. ليس في عقلي ما يستحق الخلود ، هذه الكتـب حقيرة تافهة لـن تنفعني قراءتها ستضيع على وقتي .. لن تنقلب هذه الاوراق المكتوبة أوراقا نقدية ولا خبزا ولا برتقالا يغذيني ويحميني مـن الامراض .. هـذه الكتـب شقائي الابدي وتعاستي العظمى !

وتتطـايـر الكتـب فـي فضـاء الغـرفـة كطيـور مصـابـة برصـاص وتـهـوى ، وتتفـرق الاوراق شـذر مـذر .. ثـم يسقـط الـكـاتـب ويتهدل صوته ويصمت كمن فقد وعيه ، يبقـى مدة ممددا مفتـوح الساقيـن واليدين يئن ويتألم . وفـي هذه الغرفة التـي زلزلها بغضبـه العارم والتي لفظت جدرانها وطاولتها كل حـرف وكلمة تنبعثموسيقـي هادئـة كنشيد سماوي ، موسيقى ناعمة نشوى تنتهي الى ما يشبه ضحكات طفلية بريئة . وعلى هذه النغمات الشفافة ، تدخل فتاة فارعة ، ذات بشرة حريرية صافية تظهر من تحت لبوسها الهفهاف كأنوار الشمس ، شعرها يغطي كتفيها وهاج كاللهب ، تمسك بيديها عصا طويلة بيضاء فتبدو مروضـة أسود أو لاعبـة بهلوانية في أحد السركات العالمية ، يراها الكاتـب وفي غمرة عرقـه يفتح عينيه ويزيله بكم قميصه ويبقى مبهوتا محاولا الوقوف متمتما .

ـ باسم الله الرحمان الرحيم ! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... هل أنا فى حلم أم فى يقظـــة ؟.

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أنت فى اليقظة .

ـ مـن أنت ؟ .

ـ واذا حييتم بتحية فردوها أو حيوا بأحسن منها ...

ـ من أنت من جاء بك فى هذه اللحظة التعسة ؟.

ـ أنـا جارتك أسكن فى الطابق العلوى .

ـ من أنت بالتدقيق ؟ ما اسمك ؟ ومن جاء بك ؟.

ـ أنا حسناء بحذف الحاء !.

ـ مـاذا قلـــت ؟ .

ـ لم تفهم أنت طفل ذكاؤك لم ينضج بعد ! .

ـ هيـــا تكلمى من أنت وكفى عن العبث ، ليس لـى وقت لاضاعتـه ! كيف تجرئين علـى دخول بيتى دون اذن ولا اعلان وبكل بساطـة تصفيننى بالحمق ؟ تكلمى من فضلك أنا تعب ، لقد هصرنى الالـم وعـذبنى جمـوح أفكـــارى .

ـ قلت لك حسناء احذف منها الحاء فهمت ؟ .

ـ آه فهمت يعنى سناء ... ما أكثر عبثكن أنتن النسوة عقولكن صغيرة ومشاغلها أصغر ! كفى عن العبث من فضلك ، من أين جئت ؟ ولماذا جئت ؟

ـ جئـت سيدى من الطابق العلوى ، أنا جارتك ، ألا تعرفنى ؟ أنا أعرفك جيدا ... قبل كل شىء اهدأ من فضلك ، لم أكن أقصد ازعاجك .

ـ لا أعرفك ولا أريد أن أعرفك لانك وقحة (بصـوت خافت يواصـل) : لكنك جميلة وفاتنة ، كيف دخلـــت ؟ .

ـ بسيط جدا دخلت من ثقب المفتاح .

ـ هل أنت عطر ؟ هل أنت نور ؟ حتـى تدخلـى من ثقب المفتاح ؟ هـذا العبث وهذه البرودة يمزقاننى اكثر ؟.

ـ لست عطرا ولست نورا ولكنى دخلت وكفى ٠٠ أما لماذا جئت فهـذا أمر يهمك ٠٠ جئت سيدى لانى سمعتك تزلزل الارض تحت أقدامى وترفع قدمها الناعمة المحبوسة فى حذاء يتألق كضياء نجمة وتشير اليـه بأنامـل رقيقة وتضيف :

ـ هذه القدم الجميلة هل تستحق الارتعاش ؟ جئت بعد ان عـرفت انـك تبحث عن الحقيقة ٠

يقاطعها ويتقدم فى سرعة صبيانية ٠

ـ الحقيقة ! الحقيقة ! تلك هـى ضالتى ٠٠٠ كيف عرفـت أنت جميلة وذكية أيضا ، اننى حائر أتخبط فى خضم أفكـارى بحثا عن الحقيقـة ، هذه الحقيقة التى ستجعل منى انسانا ذا خطورة ذا أهمية ؛ أيتها الحسناء اننى فح المواهب وميـت الملكـات ٠

ـ ولهذا جئتك لأساعدك للوصول للكتابة وللعثور على الحقيقة .

ـ الف معذرة يا سناء ٠٠ اعذرينى على ما صدر منى من انفعال ، لقد رأيت بعينك عذابا لما لمحتنى على الفراش أتألم وقد زعزع الجفاف فكرى وشردنى وصنع منى عبدا مجنونا وأشلاء بشريـــة ٠

الفتاة غير مبالية بما يقوله الكاتب تتقدم خطوات تشتم رائحـة هـواء الغرفة وتصرخ :

ـ غرفتك كفريسة متعفنة ، ألا تشتم ؟ هل سدت خياشيمك بالغبار ؟ لو تتجمع طيوب الهند وفارس لا يمكن أن تقتل هذه الرائحة الكريهة ، انها رائحة الموت ، رائحة الفناء ٠

تسد أنفها بيدها وتقترب منه وتلمس جمجمته بعصاها وتضيف :

ـ هذا الغبار وهذه الروائح هى التى صلبت فكرك ٠ هذه الاوساخ بلدت ذهنك وحسك وانتابك العجز والفشل ، ستبقى فى انهيار الى أن تحطم رأسك على الجدار ، عندئذ ستهمل الحقيقة وتبقى باحثا عن عقلك ٠

ويرد الكاتب فى حياء :

ـ اهدئى من فضلك لا أريد اغضابك لكن ما دخل غرفتى فى بحثى عن الحقيقة ووصولى الى الكتابة ؟ ٠

ـ نعم سؤال وجيه لقد بدأت تقترب من الفهم ، الحقيقة سيدى لا ندركها الا بشروط كثيرة وصعبة أيضا • كى تبلغ حقيقتك يجب أن تكون فى محيط طبيعى نظيف وطاهر من كل الجراثيم • يجب سيدى أن يخلو محيطك اولا واساسا من جرثومة الموت اللامتناهية فى دقتها ، فان هذه الجرثومة كقنبلة عنقودية تبث خطورتها فى الكون ، تراها تحت المهجر فى شكل جميل ولكنها تنشر الموت وتفنى البشرية •

ـ نعـم واصلـــى •

تواصل سناء حديثها بلهجة أستاذ يلقى على تلامذته درسا فى علم الجراثيم :

ـ فيسلـم الهـواء الـذى يدخـل رئتيـك ويخـرج ويحـرك دمـاغـك ، يسلم من عصية «كوخ» جرثومة السل التى تكون دمالات متورمة تصاب بالتآكل بسبب انعدام الاغشية وتآكل العصيات العضو ثم تموت ولا تحقـق أبسط الاهداف التى تجرى وراءها بعقلك هذا المتصلب وفى غرفتك هذه المتعفنة •

ـ أيتها الحسناء لقد أخفتنى غدا انظف محيطى وينتهى الامـر ثـم اهتمى معى بالحقيقة هذا هو المهـم •

ـ حسنا عالم الطبيعة يخيفك غدا فى مثل هـذه السـاعـة نتجـادل فى الحقيقـــة •

ـدعينى أقبل يدك كانطلاقة لتعارفنا •

ـ لا •• ! لا تقترب اياك أن تفعل فانك لا تدرك الحقيقة بهذه الطريقة • تصبح على خير أيها الكاتب •

ـ تصبحين على خير يا سناء الجميلة ، يقبلها فى الهواء وهـى تنصرف على انغام تلك الموسيقى التى ظهرت عليها •

2 ★ ★ ★

الغرفة تنفست هواء نقيا ، النظـام والنظافة احتـلا مكانهما فيهـا الكتب صففت فى تناسق وانسجـام عظيمين ، الفراش الحديـدى نفض أوساخـه وغباره ، أما النور فلم يعد لاهثا فقد أعارته النظافة بعض الاشعـة ، الكاتب يترنم ببعض النغمات تبدو عليه علامات الارتياح ، يخط علـى الورق سطورا ثم يقرأ بصـوت مرتفع ثم يعود الـى الترنم ويضيف : « ما أسعدنـى بـك يا سناء ! لقد بعثت فى القدرة على الكتابة ، لقد بدأت حكايتى تتصل ببعضها

البعض لقد لمحت شبح الحقيقة انه كحلم جميل يراه الانسان فى نومه وعندما يحاول أن يستعيده يفر من ذاكرته فرارا يؤلم .. ان الحقيقة كالظل نراه بالعين ولا نلمسه باليد» .

يقف ، يفتح الباب ، يطل ثم يعود ويأخذ فى التفكير .

ـ لقد طال بى الانتظار .

يسود الصمت أرجاء الغرفة ، وقع اقدامه على البلاط يدوى دويا رتيبا ، لقد أبطأت لعلها لا تأتى ؟ يترك الباب مفتوحا ، يعود الى مكتبه ، يخفى وجهه بين يديه ويتمتم :

ـ ما أحوجنى الى سناء ! لقد ألقت فى أعماقى قبسا من نار ونور .

يرفع راسه فيشاهدها أمامه بفستانها اللامع وشبابها اليافع وبعصاها الرقيقة تبتسم فى هدوء .

ـ أهلا ! أهلا ! أنا فى انتظارك ! .

ـ ماذا فعلت بعد أن تركتك ؟ .

ـ انظرى حولك ألم تلاحظى تغييرا فى محيطى .

ـ حسنا قلت : انك تريد أن تكتب وتصور الحقيقة التى تدعى انها ستغير مجرى حياتك أنت ؟ هذه أنانية .

ـ مجرى حياتى اليس هو مجرى حياة أمثالى ... الحقيقة حلمى وحلم كل من أراد حياة فاضلة .

ـ اذا أردت أن تحقق حلمك ، فعليك أن تبدأ بالصلاة .

ـ عجبا نهداك البارزان وثوبك الشفاف الذى يكاد يكشف عن جسدك لا يدل هذا على تدين أو ايمان ! أجئت لتلقنينى درسا فى قواعد الدين ؟ اسمعى يا سناء ، فى عزلتى هذه وفى انكبابى على الكتابة وبعدى عن سخافات الدنيا صلاة وأية صلاة .

ـ عزلتك هى مصيبتك ، أنت طائر مقطوع الجناحين ، عاجز عن التحليق عزلتك سلاسل تقيد جناحيك والصلاة تساعدك على قطع هذه السلاسل والخروج من قبرك المظلم .

ـ أصلي كـي أصل الى الحقيقة أمر غريب في منتهـى الغرابـة اسمعي يا سناء ، شرعتي الكتابة تفهمين ؟ .

ـ اسمح لي أيها الكاتب ان اصفك بالحمق ، الصلاة سبيل لنجاحـك .. جماعة كبيرة تصلي [وتسير في طرق عديدة] .

ـ هذه ثرثرة كبرى ! كفى أرجوك ليس فيما تقولين قليل من المعقـول ، أنا في حاجة الى الهام لا الى صـلاة ، أنا لا أفهم هذه الصـلاة ولا هـذا الدين الجديد الذي تدعيـن اليـه .

ـ سأنصرف اذن ولن أوصلك الى الحقيقة .

ـ لا !! لا تغضبي ، أمري لله سأنقلب الى متعبد .

ـ لا تضيع على وقتي أنت معاند ومشاكس .

ـ أرجوك لا تجرحي عواطفي .

ـ الامر بسيط لا يستحق هـذه الاطالة ، اذ الصلاة تتمثل فـي السجود والركوع لمدة ساعـــة .

ـ ساعـة كاملـة انها طويلة .

الفتاة تضرب الكاتب على عجيزته وتضيف :

ـ هيا اسجد هيا اركع ليكون كتابك كالعطر مثل القبلات وكالسحر ، هيا اسجد هيا اركع فيكون كتابك كالزهر تزخر اعماقه بالفكر هيا اسجد هيـا اركع ليكون كتابك كالشعر مثل الآهات وكالفجر هيا اسجد هيا اركع ليظل كتابك في الدهر ويحلق طلقا كالطير هيا اسجد هيا اركع فيكون كتـابك اسطورة وجدائل غادة هندية هيا اسجد هيا اركع كي تبقى حروفك الهامـا وقصيدة زاهد صوفية هيا اسجد هيا اركع كي يبقى كتابك الياذة وقصائد عاشق شرقية هيا اسجد هيا اركع فيكـون كتـابك في الصـدر صلـوات القدس والطهر .

الكاتب هده الاعياء يتوقف يلهث ، يتصبب عرقا وقد بدت عليه علامات الوهن واختلت حركاته يئن ويتألم :

ـ لم اعد قادرا على هذه الصلاة انها طويلة ؟ انها قاتلة ، لا اتحملها .

ـ لو كنت تؤمن ايمانا صادقا بهذه الصلاة لسهلت عليك ، ولكنك كافـر ستبقى نكرة مجهولة فى خضم هذه الدنيـا ، ستموت ولا يشيع جنازتك اى انسان ، ستبقى حقيقتك مدفونة فى صدرك ، يا لخسارة الدنيا لو اجتمع فيها أقلية من أمثالك ضعاف النفوس وغلاظ الرؤوس ، قل لى : أين وصلت فى كتـابـك ؟ .

ـ على وشك النهايـة .

تتناول الفتاة الاوراق ثم تلقى بها على الطاولة :

ـ هذا كتابك ، هذه تجاربك انها سخافات .

ـ لقد بذلت كل جهودى ، لقد نزعت تلك السطور من ضلوعى ومن أشعة عيونى ومن خفقات قلبى لقد وصلت الى نهايتها وأشرفت على الاغماء .

ـ لو زرعت حبة قمح فتصبح سنبلة أحسن من هرائك هذا .

ـ ولكن كتابى هو طعام لعقول الناس .

ـ لو فكرت فى طعام بطنك قبل أن تفكر فى طعام عقول الناس .

ـ معك حق كان على أن أفكر فى حالى لقد احترق دماغى من أجـل هـذه الاوراق ولكنى ادركت فى النهاية سخافتها ، لكن ماذا يجب أن أفعل ؟

ـ بصراحة يجب أن تجرب الموت هو أحلى وأصفى لك من هـذه الحيـاة ستحقق بالموت ما تريد ! .

ـ الموت ؟ نعم يجب أن أموت لانهى شقائـى .

ـ نعم الموت من اجل حياة جديدة فضلـى .

على أنغام موسيقى حزينة ترتل الفتاة هذه الكلمات وتـراقص الكـاتب :

ورقصنـا رقصـة المـوت الحـزينه .

وانتشينـا بالسكـون .

بالـدجى .

فـى صحـارى التيـه عشنـا .

مثـل حبـات الرمـال .

كالصـدى .

/ (صمت) /

– ان الله يحيى العظام وهى رميم .

– بماذا شعرت عندما مت ؟ .

– لماذا لم تموتى معى لترى بعينك ما رأيت ؟ .

– ماذا رأيت ؟ .

شعرت وكأنى أخرج من صندوق مقفل وأدخل فى فضاء واسع لقد حلقت مع العصافير ورأيـت أناسا كثيرين يحلقون مثلى ، ما أحلـى التحليق فـى فضاء جميل فيه من الالوان ما شاء الله بنفسجى ، أخضر ، وردى ! .

– هل رأيت كتابك عند تحليقك ؟ .

– نعـم رأيته ، ويا ليتنى ما رأيته ، رأيت علـى صورة غلافـه عنكبوتـا كبيرا يتحرك وكان يحمله رجل أعمى من أولائك المحلقين فـى السماء ، ولما رآنى رمى به فى وجهى فكسر جناحى فهويت .

– وبماذا تشعر فى هذه الدقيقة ؟ .

– لقد اصبحت أشعر بالسعـادة

– اننا لا نقدر أن نتوصل الى السعادة لانها تولد من الشقاء وتقيم فيه ولا نستطيع أن نفرق بين السرور والحزن كما لا يمكننا ان نفرق بين النور والظلمـــة .

– اسكتى لقد بلغت السعـــادة .

يرقص الكاتب فرحا :

– لقد وصلت الى الحقيقة ، دعينى أقبلك أنت سبب سعادتى .

– أنبهك الى خطورة تقبيلك لى .. اياك أن تفعل ! لا تقترب ! لا تقترب ! أرجوك .. ابعد ستحطم نفسك .

يهجم عليها فيقبلهـا فيطلق صيحـة فـزع ويصبح هامة سوداء ، فرمـادا فغبارا وتهب ريح شديدة وتبدد الاوراق والغبار .

ريـم العيسـاوي

أغنيات في زمن الجدب والوهم

شعر : المنجي الشرقي

① ميلاد :

أخيرا أتَيْتِ !
وفي زمن المعجزاتِ
تلَقَّفَتنِي كفُّكِ المطمئنّ
تعوّد منّي على الدّعةِ
على الصمتِ
في زمن صار فيه الكلامُ انفجاراً .

* * *

أخيرا ، طلعت على العالم الحائر
وفي زمن الموت جئتِ
وفي زمن الاندثار والحزن أنتِ
تعرّيت للفكر أنتِ
حملت إليه نفائس أغلى من الجَوْهَرِ
وأغلى من المعجزاتِ ،
وأبصرك الفكرُ ،
تاهت أمانيه ،
صارت تعانق فيك :: تعانق للموت ميلاد أغنية خالدهْ ،

أتيت ، ليُولَد شيء جديد :
خيال ، رؤى ، واعتقاد جديد
وعالمنا قد هوى
بأفكاره المتعبَه ؛

* * *

أتيتِ ، وفي زمن الوهمِ ، كنت لنا أملا رائعا
وكنا انتظرناكِ عُمْرا طويلا :
ولما أتيتِ ، خرجتُ إليك أنا ،
لألقاكِ بالخوفِ والنور والأغنياتِ .

* * *

② شاعر زمن الجدب :
أنا شاعر والزمان عدوّي ،
أقاوم وحدي لأسقط أقنعة المستحيل
وأقنعة الزيف حولي ،
فيا زمنا مات فيك التحدّي
وأجدب فيك الخيال ،
من الصعب أن يسكت الشّدو
أن يسقط الشعر في اللاوجود
وفي الإبتذال ،
وأن يعزف الحلم أنشودة الموت والإرتحال .
أنا شاعر والزمان عدوّي
أقاوم وحدي برغم انتشار الضباب
جيوش الهزيمة والإكتئاب :

أخلّـد معجـزة العمـر
يا زمن الوهم معـركة في فجاج السـرابْ .

③ في البحـث عـن اغنيـة :

لأنّـي سألتهـمُ الريح والعـاصفهْ ،
فـلا بـدّ لي أن أغنّـيَ قبـل المساء
ولا بـدّ من أغنيـهْ
لأنسى احتجـاب الحقيقـة عنّي
وأنسى اقتـراب الشتـاء

* * *

تطـاردني أجمـلُ الأغنيـاتِ
تـلازمني
تقاسمني يقظتي وسباتي
تضجّ بـداخل ذاتي .. تـؤرّقني
وترهقني
تسـدّ عليّ منـافذ فكري
تـؤسّـرني
وتسحـرني أي سحـرِ .

* * *

أسيـرٌ أنـا بـهذّا الفضاءْ
على ساحـل اليـأس
تنتـابني نوبـة الشـدو مثل العصـافير حينا
وحينا يجفّ الخيـالْ ،
فيـدفعني الصمت لليأس والإنطـواءْ .

المنجـي الشـرقي
المنستيـر ..

منهجية التحليل والتركيب من خلال مقالة : "التحليل والتركيب لابراهيم بن قرة"

بقلم : أبو يعرب المرزوقي

(*) – II –

II · 4 · المنهج العلمي او اخضاع المنهج الرياضي للتنظيم المنطقي

والمعلومات التاريخية التي يتضمنها هذا البحث والمتعلقة بالمنهج صنفان : أولهما يصف ما كان عليه المنهج وذلك في سياق السعي الى اصلاحه اصلاحا نموذجه أعمال ابولونيوس «23» ومعلومات نظرية تتعلق بدرجة الوعي المنهجي عند حفيد ابن قرة · وهو في هذا المضمار يتعرض لمسالة المنهج على كرات ثلاث :

1 ـ تحديد أولي اجمالي لمنهج التحليل في الصفحتين 15 الى 17 ·

2 ـ تحديد ذرائعي يستعمل فيه التحليل للتمييز بين أصناف المسائل أو للتعرف عليها من صفحة 17 الى صفحة 41 ·

3 ـ تحديد تنظيري يبين كيفية التحليل ومحاذيره والاخطاء التي يقع فيها الرياضيون من صفحة 41 الى صفحة 64 ·

يقول ابن قرة محددا التحليل في محاولة أولية : «وتحليل المهندس الذي يؤديه الى أن يكون الشيء الذي يراد منه في المسألة عند حدود مفروضة» (24) عنصران اذن : ما معنى يؤديه الى أن يكون الشيء عند حدود مفروضة ؟ وما معنى حدود مفروضة ؟

(*) انظر «الفكر» ؛ ع : 7 ـ س 31 ـ أفريل 1986 ·

(23) نجد الاشارة الى انحراف المهندسين المنهجي في كتاب حركات الشمس ص 66 وما بعدها ·

(24) تعريف التحليل ، رسالة التحليل والتركيب ص 15 ·

فأما الحدود المفروضة فهي ما يتسلمه الرياضي حلا للمسالة المطروحة . والحل هو تحديد الجواب اما من حيث كمه أو وضعه أو نوعه أعني صورته : كطول خط أو موقع نقطة أو جنس شكل مثلث أو دائرة الخ . وهذا هو معنى المعطيات بالمصطلح الاقليدى فى كتابه المعطيات (25) وأما العنصر الاول فهو ربط الحل المفروض معطى بالاسس الرياضية أو بما يستند اليها من نظريات فى الاصول الاقليدية أو فى أصول ابولونيوس وبصورة أعم فى مصنفات النظرية الرياضية . وتحقيق ذلك يقتضى توفر أمرين :

★ معالجة المعطيات بحيث ننتقل بها من الصيغ العامية الى صيغة رياضية محددة وهو ما يمكن أن نسميه بالتحليل الاعدادى أو بالقسمة أو بمصطلح فيات التحليل البوريستيقى L'analyse poristique وهو تحليل المعطيات ومناقشتها .

★ ربط الحل المفروض معطى بعملية تراجعية من المشروط الى الشرط بالنظريات المعلومة والمبرهن عليها فى المصنفات النظرية أعنى الاصول . وهذا هو التحليل الاستكشافى والاثباتى أو بمصطلح فيات أيضا التحليل الاكجيزيتقى L'analyse exègetique أو الحل الهندسى أو العددى بعد الصياغة الرياضية التى تحقق فى النوع الاول من التحليل .

والمفهوم الاول من التحليل يقول عنه ابن قرة «واخطر ببالك جميع الاقسام والوقوعات والاوضاع ثم بعد التقسيم ينبغى أن تحلل قسما قسما» (26) ثم يورد مثالين نأخذ ثانيهما لكونه من قضايا أصول اقليدس الشهيرة : كيف نبنى مثلثا بخطوط ثلاث معطاة . فيناقش ابن قرة بمعنى التحليل الاول كما يلى : كيف ستكون هذه الخطوط أهى متساوية أم متفاضلة . اذا تساوت تمكنا من البناء وتلك هى القضية الاولى من المقالة الاولى . واذا تفاضلت الخطوط ، تفرع الامر الى ثلاث حالات : مجموع اثنين منها يمكن أن يكون دون الثالث أو فوقه أو مساويا له . والحالة الاولى ممتنعة اذ لن يلتقى هذان الخطان فلا ينتج المثلث والثالثة ممتنعة اذ عند التقائها يطابقان الخط الثالث فلم تبق الا الحالة الثانية أعنى عندما يكون مجموع الخطين فاضلا على الخط الثالث وعندئذ نبنى المثلث وقد نضيف مناقشة اخرى لكى يكون المثلث المبنى

(25) راجع فى ذلك تمهيد ايطار (Itard) للسحب الجديد من ترجمة بيرار لاصول اقليدس التى قدم لها ص 17 و 18 طبعة البار بلانشارة — باريس 1966 .

(26) المقالة 43 .

اما متساوى الساقين أو مثلثا عاديا • ومن اخطار هذا النقاش تخصيص العام أو تعميم الخاص أو اضافة ما لا يجب أو انقاص ما لا يجب •

أما المفهوم الثانى للتحليل فيحدده ابن قرة قائلا : «وهو أنك تبتدىء فتضع الشىء الذى تطلبه موجودا ثم تنظر فى جميع شروط المسألة والمفروضات فيها وما طلب منك وضعته على أنه موجود فتجمع منها بالتحليل بغير أن تحذف شيئا منها أصلا : ان الذى طلب منك معلوم ان كان مما تريد أن تجد وضعه فتبين أنه معلوم الوضع ، وان كان مما تريد قدره فتبين أنه معلوم القدر ، وان كان مما هو مطلوب الصورة فتبين أنه معلوم الصورة» (27) •

التحليل اذن فى هذا المعنى الثانى هو البحث عن شروط المعطيات أو عناصر المسألة المطروحة للعلاج وشروط تسلم المطلوب موجودا ومن هذه الشروط اذا رتبت ترتيبا منطقيا ننفذ الى الاساس النظرى ومن ثم نتمكن بعودة من آخر الشروط الى أول المشروطات من تركيب البرهان وهو ما جعل ابن قرة يسمى المسعى التحليلى الذى ذكرنا بطلب الحدود الوسطى بلغة المنطق الارسطى •

وبذلك نصل الى عنصر التركيب فى المنهج العلمى الذى يمثل فى نفس الوقت طريقة فى التحقق من الحل وطريقا الى البرهان يقول ابن قرة «فاذا ركبت مسائل تبين لك موضع الخطأ لانك تطالب نفسك بلم وكيف صار ، ولا يجوز هناك بوجه ولا سبب فتخرج كل ما فى المسألة من خطاء وصواب»(28)

لكن التركيب لا يقتصر على هاتين المهمتين المتعلقتين بالمنهج بل له اتصال مباشر بغرض الكتاب الاول أعنى تصنيف المسائل : اذ هو يمكننا من معرفة أجود باصناف المسائل عندما يؤكد صحة الحل الذى أوصل اليه التحليل : فاذا طابق الحل ما حددنا من الانواع فى الجدول المصنف للمسائل وبرهن التركيب عليه تم التاكد من صنف المسألة • ومهما يكن من أمر فان الوظيفة البرهانية هى الغالبة على التركيب فى حين ان الوظيفة الاستكشافية هى الغالبة على التحليل : «والتحليل هو ايجاد المقدمات التى ستخرج عنها النتائج والتركيب ليس هو ايجاد الحدود ولا المقدمات وانما تاليف تلك المقدمات» (29) •

ان بحثنا هذا لا يستكمل غرضه الا اذا اشرنا الى أمرين أولهما تحديد طبيعة هذا المنهج التحليلى التركيبى بوظيفتى كل منهما : القسمة والبحث عن

---

(27) المقالة ص 43 — 44 •
(28) المقالة ص 52 •
(29) المقالة ، ص 92 •

الشروط ثم التأكد من صحة القسمة وصحة الشروط فى بناء الدليل والثانى هو دور المنطق فى هذا المنهج ٠

فابن قرة يؤكد على كلية هذا المنهج عندمايعتبره منهج كل العلوم وغير مقصور على الرياضيات اذ يقول : «واذا تأملت غرضهم — يعنى المهندسين — وجدته يؤدى الى طريق التحليل الصحيح الذى يستعمل فى سائر العلوم» (30) وهذا الطريق لا يكون صحيحا الا اذا طابقت مراحل التحليل فيه مراحل التركيب مطابقة تامة : «انما سبيل التحليل والتركيب أن يكون الكلام فيهما واحدا لا خلاف فيه وأن الخلاف بين التحليل والتركيب انما هو فى الترتيب فقط بأن هذا كأنه ذاك مقلوبا» (31) ٠

ان هذا المنهج الذى يعم كل معرفة علمية هو بدوره موضوع علم وعلمه هو منطق الاستشكاف أو منطق البرهان بوصفهما مرحلتى كل منهج علمى٠ وكليته تلك تجعله علما كليا أو ما هو علمى فى كل العلوم بالمعنى الذى جعل ديكارت يوحد بين الرياضيات الكلية والمنهجية العلمية فى كتاب القواعد (32) جاعلا من هذا المنهج العلم الكلى ما يطلق عليه حديثا بعلم الجبر وقديما بالرياضيات العامة أو الكلية ٠ وهو يفعل بالاشارة الى نفس النماذج التى يشير اليها ابن قرة أعنى ابولونيوس واقليدس وبابوس (33) ٠

والمنطق ، بالاضافة الى دوره فى تصنيف المسائل (الجهات) والى دوره فى القسمة (استنفاذ الحالات وخاصة القسمة الثانية استنادا الى الثالث المرفوع) يبرز فى عنصرى المنهج العلمى أعنى التحليل والتركيب على شكل التماس وجود المقدمات فى الاول وتاليفها فى الثانى : «وذلك أن التحليل التماس وجود المقدمات التى ينتج منها المطلوب على أن يكون فيها حدا وسطا بين ٠ ان المحلل اذا انتهى الى غايته فى التحليل فقد وجد بالتحليل المقدمات وعمل ما يسميه أرسطوطا ليس فى كتاب انالوطيقا اكتساب المقدمات واذا وجد فى التحليل المقدمات فحدودها لا محالة عنده موجودة معلومة مشار اليها ٠ ففى التحليل ينبغى أن يذكر الحدود ويشار اليها ٠ وأما التركيب فليس فيــه استخـــراج الحدود ولا المقدمات وانما فيه تأليف تلك المقدمات» (34) ٠

---

(30) التحليل والتركيب صفحة 44 ٠
(31) التحليل والتركيب ص 78 ٠
(32) القواعد ، القاعدة الرابعة خاصة ٠
(33) ديكارت القواعد ، القاعدة الرابعة ٠
(34) التحليل والتركيب ص 91 — 92 ٠

بهذا النص ننهى الفصل الاول من هذه الدراسة ذاكرين بأن عنصرى المقالة أعنى تصنيف المسائل بتطبيق المنطق على المعطيات والحلول ومنهج العلم بتطبيق المنطق على التحليل والتركيب مع الادراك الصريح والمتروى بأن هذا العمل بحث علمى فى غرض جديد يمكن أن نطلق عليه اسم العلم الكلى أو المنهج العلمى الكلى كما أوضحنا سابقا ، يمثلان اذن بؤرتى تعليقنا على هذه الرسالة فى الفصل الثانى من هذه المساهمة فى قراءة مشروع بن قرة ٠

III ٠ الفصل الثانى : التعليق

III ٠ 1٠ المضمون العلمى

سنبدأ تعليقنا بمسالة اتضح الآن بعدما اسلفنا من مقاربة أنها ثانوية : فالمشكلات الرياضية التى اختيرت منها المسائل الرياضية لتصنيفها ليست هدف البحث لذلك فهى لا تمثل عناصر كثيرة الدلالة على مستوى النظرية الرياضية : كل الامثلة بسيطة ولا تتعدى الهندسة البسيطة وهى مستمدة من أصول اقليدس ومخروطات ابولونيوس وأكرثاوذوسيوس ٠ وكلها مسائل تعتبر نظريا مسائل محلولة ٠ ومعنى ذلك أن البحث ليس من جنس محاولات الخيامى فى رسالة ما اشكل من مصادرات اقليدس 1 أو من جنس الرسالة الثامنة للطوسى 2 حيث ينصب الاهتمام على النظرية الرياضية : وبساطة المشكلات مقصودة لكونها ليست مستهدفة ٠ لا يتعلق البحث بالنظرية الرياضية كموضوع بل بالمنهجية الرياضية وما المشكلات الا للتمثيل : «وليس ينبغى أن يظن أن المهندس مستغن عن معرفة هذه الاقسام اذا رأيت هذه الامثلة واضحة وتتوهم أن سائر المسائل المستحيلة والمحتاجة الى تغيير والسيالة أو الصحيحة على هذه الحال من الظهور والبيان تميز بعضها من بعض من أول وهلة ٠ لانى انما اخترت الامثلة الواضحة لاقرب عليك الامر واصوره لك بسهولة فانه قد يجوز أن يقع كل واحد من هذه الاقسام فى مسائل مشكلة غير واضحة لا يتميز أمرها الا لمن كان دربا بعد أن يطيل الفكر فيها» (35) بل ان تمايز الاصناف نفسه اختير عن قصد بدون اشكال لتحديد الاصناف تحديدا واضحا : اذ المهم هو وضع نظرية الاصناف ونظرية المنهج فى حلها بعد علاجها منطقيا وعلاج المنهج نفسه منطقيا ٠

واذن فالمقالة لا تدلنا على برنامج التعليم النظرى الا بما تشير اليه من مصادر أما المشكلات الرياضية المعالجة من حيث مضمونها الرياضى فهى ليست

(35) التحليل والتركيب ص 14 ٠

من أرقى المشكلات الرياضيات فضلا عن كونها ليست مما كان معروضا للاجتهاد الرياضي ، بل كلها كانت من الاشكالات المحلولة : كبناء مثلث أو قسمة خط حسب نسبة معلومة أو بناء دائرة مماسة لدائرة وخطين أو مماسة لدائرتين الخ ..

كما أن المضمون النظرى المنطقى لم يكن متجاوزا لارسطو اذ أن المرجع يبقى نظرية القياس (التحليلات الاولى) ونظرية البرهان (التحليلات الاخيرة) . واذن فالمقالة ليست طريفة بمضمونها الرياضى التقليدى ولا بمضمــونها المنطقــى التقليدى : لا نستطيع أن نقول عنها انها بحث فيما لم يحل بعد من المشكلات الرياضية ، ولا حتى فى اعسر مما حل من المشكلات الرياضية . وليس ذلك لكون ابن قرة لم يكن رياضيا ممتازا ، اذ نحن نعلم أن له على الاقل رسالتين هامتين مضمونيا تتعلقان بالرياضيات العليا أعنى بهما رسالة رسم القطوع ورسالة مساحة القطوع، أعنى القطوع المخروطية الثلاثة المكافى والزائد والناقص وتحديد المساحة بضرب من استنفاذ الفضل يباهى بكونه قد فاق فيه أكبر الرياضيين العرب على الاطلاق أعنى الماهانى فضلا عن الرياضيين اليونـان : «وعملت كتابا فى مساحة القطع المكافى فى مقالة مفردة وكان جدى استخرج مساحة هذا القطع فعرفنى بعض أهل هذا العصر من المهندسين أن للماهانى فى ذلك عملا اوقفنى عليه أسهل من عمل جدى ، فلم أحب أن يكون للماهانى تقدم على عمل جدى ولا يوجد فينا من يزيد عليه فيما عمله وكان جدى استخرج ذلك فى عشرين شكلا وقدم له مقدمات عددية كثيرة من جملة العشرين شكلا ويبين له امر مساحة القطع بطريق الخلف وقدم أيضا الماهانى مقدمات عددية لما بينه ثم برهن بطريق الخلف ما اراده فى خمسة أشكال او ستة فيها طول فاستخرجت ذلك فى 3 أشكال هندسية لم اقدم لها مقدمة عددية وبيت مساحة القطع نفسه بطريق البرهان المستقيم ولم احتج الى طريق الخلف» (36) .

لقد اوردنا هذا النص رغم طوله لكونه يبين أن الهندسة العليا فى متناول مؤلفنا ولكنه ابتعد عنها فى مقالته للتركيز على المنهج ثم ثانيا وهذا الاهــم لابرازهم المنهجى عنده : فهو فى هذه الحالة لم يفق الماهانى بأن حل ما ليس محلولا بل بأن قلل من عدد الاشكال اولا واحترم الاختصاص ثانيا فلم يستعمل العدد فى الهندسة وبأن اثبت بالبرهان المستقيم ولم يحتج الى طريق الخلف وهى اضعف من البرهان المستقيم منهجيا . وبذلك نتخلص الى العنصر الثانى من هذا الفصل أعنى مقدار الوعى العلمى الذى تعبر عنه هذه الرسالة التى لا تبدو مفيدة من حيث الشمس ، ص 69 ـ 70 .

(يتبــع)

---

(36) كتاب حركات الشمس ، ص 69 ـ 70 .

الأرض والشيطان

مسرحية : نور الدين بلقاسم

الفصل الثاني (*)

الفتاة : (حالمة فى الغرفة منفردة وقد بدا عليها القلق والكآبة ... تقوم لتشتغل ببعض شؤونها فتحدث نفسها ...)

ـ طلب منى أن أنام معه ليلة . وقال لى إنه سيكون واسطة فى اطلاق سراح أخى من السجن .. أبيت ذلك فهددنى .. قال لى بأنه سيأمر فرقة تحسين الاخلاق كى تقبض علي بدعوى البغاء .. البغاء .. البغاء **(فى حنق)** لم أعرف البغاء قط فى حياتى ، ولكن رئيس فرقة تحسين الاخلاق يريدنى أن أكون بغيا **(تضع راسها بين يديها وتجلس على كرسى ... تدخل فى هذه الآونة الخالة ، فتسمع آخر ما قالته ابنة اخيها فتسائلها عمن هددها ... تضطرب الفتاة وتتلعثم)** ...

الخالة : من هذا الذى تتحدثين عنه ؟...

الفتاة : انت هنا **(فى دهشة)** ؟

الخالة : من الشخص الذى يشغل بالك ...

الفتاة : (صمت .. تضع اصبعها فى فمها وتطرق الى الارض) ...

الخالة : (فى مداعبة) إن كان شابا سحرك سأخطبه لك يا عزيزتى ...

الفتاة : (فى كتمان) لا شيء يا خالتى ...

الخالة : هل من عادتك أن تكتمى عنى سرا ؟

الفتاة : هو يا خالتى ...

الخالة : من هو ؟

الفتاة : الشرطى الذى ساق عادل الى السجن ...

الخالة : ماذا فعل ؟ **(بسرعة ظاهرة)** ...

(*) انظر الفصل الأول بـ « الفكر » ـ ع : 7 ـ س : 31 ـ أفريل 1986 .

الفتاة : كان قد غازلنى والح علي فى أن أنام معه ليلة **(تقول هذا بعد تردد وإطراق)** ... وقال لى بأنه سيأمر فرقة تحسين الاخلاق كى تقبض علي بتهمة تعاطى البغاء اذا لم استجب لرغبته .

الخالة : (فى لوعة ظاهرة) يا ويحي .. متى كان ذلك ؟؟..

الفتاة : كان ذلك عندما اعترضنى فى مفترق الطرق فى رأس الحارة .. وقال لى بأنه لن يطلق سراح عادل الا اذا نالنى ...

الخالة : (فى إطراق وحسرة) إنى أتساءل هل يكون رؤساء فـرق تحسين الاخلاق كلهم مثله ؟..

الفتاة : (وكأنها لم تسمع ما قالته خالتها) انه هددنى يا خالتى ... وأخاف أن يبقى عادلا فى السجن اذا ... **(تقاطعها خالتها)** .

الخالة : (فى سرعة) اذا لم تلب له الطلب ؟؟

الفتاة : لا اذا لم يخرج من السجن عن قريب كما قال فى رسالته التى وردت علينا بالامس ...

الخالة : اننى احس بأننا على شفا حفرة عميقـة ... لقد هتكت أعـراضنا ، وسرقت أرزاقنا ، وذابت قلوبنا على وهج الانتظار من غير جدوى ... انهم يظنون أننا أغبياء ننساق كالنعاج الى الذبح بلا مقاومة ... لنلعن الخبز هذا الذى يذلنا ولندافع على شرفنا حتى الممات ...

ـ (يدخل فى هذه الآونة السيد محمود صاحب الشقة ليطلب معلوم الكراء) ...

محمود : السلام على أهل البيت **(فى دهاء)** .

.... : وعليك السلام ... كيف حال العائلة ؟..

محمود : لا بأس والحمد لله ... أين سى مخلوف ... ؟

الخالة : منذ خمسة أيام يخرج من الصباح ولا يرجع الا فى المساء .

محمود : هل تخلى عن التقاعد ورجع الى العمل ...

الخالة : لا لم يرجع ... ولكن له مشكلة يحاول حلها ...

الفتاة : هل لك مع والدى أمر ... ؟

محمود : (ينظر الى الفتاة فى نهم وقد تركزت نظراته على نهديها) ...
أريد أن أكلمه فى شأن الكراء ... لم يعطنى كراء الشقة منذ ستة أشهر ،

وأنا ذاهب فى سياحة الى أوربـا ، فلا بـد أن آخذ معى نصيبا من المـال يكفينى ...

الفتاة : (محدثة نفسها وهى جالسة بعيدا عن خالتها والسيد محمـود) ... نحن لم نجد ما يكفينا من الخبز وهم يريدون أن يقوموا بسياحـات طـويلة عريضة .. وفى أوربا !..

الخالة : (بعد اطراق ...) فى الحقيقة ليس له الآن ما يدفع ... فنحن نطلب منك أن تصبر شهرا أو شهرين ريثما يجد عادل أو زنوبة عملا ويدفـع لـك الكراء ...

(تشير الى ابنة اختها عندما تنطق باسم زنوبة) ...

محمود : (يكلم الخالة فى غيظ) : اننى لا استطيع الصبر أكثر مما صبرت... وان كان لابد من الصبر **(يتكلم فى استدراك)** فانى اقبل زنوبة كى تعمل فى منزلى ...

الفتاة : (تحدث نفسها متمتمة) متى استعبدتمونا بأموالكم وجاهكم وقد ولدنا أحرارا ..!؟

الخالة : هذا أمر يبت فيه والدها ...

محمود : (نـاظرا بتخابث الى جسـم الفتاة ومتكلما بفضاضة ...) على كل سأصبر أسبوعين آخرين فاذا لم يقدم لى الاجرة سأحيل القضية الى المحكمة..

الفتاة : (فى حيرة) المحكمة ؟...

الخالة : أنت عاقل يا سى محمود ...

محمود : (فى غيظ ظاهر) لقد تركنا الوقار من اليوم الذى بدأ فيه أمثالكم ينادون بالمساواة .. فهيهات أن تفاخر الارض السماء .. وأن تضىء النجوم كالشمس .. **(يغلق البـاب بقـوة ويخـرج فتمكـث الخـالة وابنـة اختهـا مشدوهتين .. ثم تستانفان الحوار ..)**

الفتاة : (لخالتها) هذه مشكلة أخرى يا خالتى لا أعلم لهـا حـلا ... فكيف نستطيع أن نجد المال لتوفير الخبز وتسديد الكراء ؟ ..

الخالة : عليكم أن تفكروا فى ايجاد عمل يجدي ..؟

الفتاة : ليس لنا يا خالتى من الاقارب من هم فى مناصب عليا حتى يصل أحدنا بواسطتهم الى عمل قار .

الخالة : لكن لا بد من التفتيش ...

الفتاة : (تواصل حديثها) أنت تعلمين كم بحثنا عن العمل أنـا وعـادل منذ انقطاعنا عن الدراسة لقد طرقنا أبواب الادارات فاوصدت فى وجوهنـا ... وذهبنا الى كثير من الشركات فرجعنا خائبين ...

الخالة : (فى استفهام) لعله لا توجد أماكن شاغرة كما قيل ...؟

الفتاة : (تردد بعض الكلمات فى غيظ) لا يوجد .. لا يوجد عمل .. العمل يوجد بالنسبة لابن رؤوف الاكبر الذى كان يدرس معنا فى نفـس القسـم وانقطع عن التعليم من النفس الدرجة ولكنه وجد فى نفس الشهر الذى تخل فيه عن الدراسة عملا باحدى الشركات الكبرى . أما نحن ... **(تصمت فى تحسـر ...)**

الخالة : قد يكون ذلك راجع الى ظروف معينة ...

الفتاة : لا يا خالتى ذلك راجع الى ... **(تشير إشارة بكتفها تعبر عن المحسوبية وتبجيل فئة من المحظوظين لاعتلاء المناصب ...)** .

(يدخل فى هذه الآونة رضوان ابن خالة الفتاة وهو متابط حزمة من الجرائد وعلى وجهه ملامح الكآبة .. وعلى ثيابه آثار القدم .. فتبادره امه بالكلام ...)

الخالة : (لابنها) وأنت أيضا اتيت ...؟

رضوان : (فى ضيق) كما اتيت أنت ...

الفتاة : (الى خالتها فى تأنيب) وهل ان منزلنا محظور عليه ؟..

الخالة : (لابنة أختها) ليس هذا ... اقصد انه رجع باكرا اليـوم على غيـر عادته ، وأن عمله لم يتم بعد **(تشير الى حزمة الجرائد التى يتابطها)** ...

رضوان : (يتكلم فى ضيق مارحا باحدى يديه) رجعت باكرا لأنى أطردت من العمـل ...

الخالة : (فى دهشة) أطردت من العمل ؟؟

الفتاة : (فى دهشة ايضا) أنت ايضا حلت بك الكارثة ؟؟

رضوان : (يقول وهو متوجه الى كـرسى ليجلس عليه ...) لقـد صـارت الكوارث أمرا طبيعيا بالنسبة لأمثالنا ...

الخالة : (لابنها) هل وقع مكروه ..؟

رضوان : (لامه) الامر فى غاية البساطة هو أن مدير الجريدة وضع أحد أقربائه فى محلي لبيع الجرائد ... وقال لى : اعتبر نفسك حرا من اليوم .. ولما سألته عن السبب هز كتفيه فى استخفاف ...

الخالة : (لابنها فى استفسار) هكذا بلا مبرر ؟

رضوان : (يظهر عليه التعب والتفكير ... يصمت ولا يجيب امه .. ولكنه يحرك راسه بطريقة ذات معنى) ...

الفتاة : (وكأنها تحدث نفسها ...) نحن نسجن ونطرد من العمل ، ونطرد من المدارس فنبقى للجوع والعراء والتسكع بلا مبرر ... **(تعيد الجملة الاخيرة)** دوما بلا مبرر ...

الخالة : (فى حنق مصفقة بيديها) لقد ازدادت الامور تعقدا ...

الفتاة : (لخالتها) ما الحل ..؟

رضوان : (فى ثورة ظاهرة) الحل معروف هو أن لا نستسلم .. لا نستسلم للواقع .. بل لنعمل على ايجاد واقع جديد أكثر خصوبة وأكثر عدلا ...

الفتاة : (مخاطبة رضوان) العدالة .. طالما تحدثوا عنها .. ولكن لا شيء منها موجود نحن نتعزى عوضا عن العدالة بالحيف والحيلة ... لعل هذا هو المنطق الجديد .. **(تحدث نفسها)** ربما .. من يدري .؟

الخالة : (تقول بعد اطراق) الآن سيتخلى إخوتك عن الدراسة ... ليس لنا ما ننفقه عليهم ..

الفتاة : (لخالتها) على كل ان المشكلة بالنسبة لكم أقل تعقيدا .. فسي يوسف له مورد ينفقه عليكم ...

الخالة : (فى غرابة واستنكار) مورد .. هو مورد كلا شيء .. طول اليوم يبقى فى الجامع يقرأ القرآن ، ويصلي بأهل الحارة فى كل وقت .. ومع ذلك .

الفتاة : (تقاطع خالتها) ومع ذلك يأخذ منحة .

الخالة : (تردد كلماتها) يأخذ سبعة دنانير فى الشهر .. أجرة لا تكفى مؤونة كلب .

رضوان : (يتكلم فى غيض مخاطبا امه) كل هذه المشاكل أنت المتسببة فيها.

الخالة : (لابنها فى استنكار) أنا ؟..

رضوان : نعم أنت لو تركتنى منذ سنتين اسافر الى الخارج لكنت فى مأمن من هؤلاء ... ولكنت الآن مرتاحا لان مدينتى لا تزهر بالخير ولا تحبل بالخبز .

الخالة : (لابنها) أنا أحبك أن تكون معى على الدوام لانك تمثل قوة لروحى ... ونورا لبصرى وتفتحا لمصيرى ..

رضوان : (**مخاطبا الجمهـور**) كفانا عطفا ولنكونوا غلاظا شدادا على انفسنا وعلى الذين يعيشون بعرقنا فى أرضنا (**يشير الى الارض باصبعه**) .

الخالة : أنا لا أعلم بأننى مسؤولة الى هذه الدرجة ...

(يدخل فى هذه الآونة يوسف زوج الخالة وأبو رضوان وهـو فى منتصف العمر .. يشتغل إماما فى جامع الحارة يرتدى لباس شيوخ ... يجد الجميع فى وجوم . فيسألهم ...)

يوسف : مالكم واجمون ؟..

الخالة : (**لزوجها**) لأننا نصلي .

يوسف : الصلاة تفتح الغم وتفتح البصائر .

الفتاة : صلاتنا ليست من النوع الذى تعرفه .

رضوان : نحن نصلي للخبز .

يوسف : استغفر الله .. استغفر الله .. (**ويضع السبحة فى يده ويسبح**) .

الخالة : (**لزوجها**) وأنت كذلك تصلي للخبز .

الفتاة : لم يعد للظواهر معنى .. لقد صار كل شىء يسير بطريقة عكسية :.

يوسف : إن رفض الحقيقة الواضحة ... وتغطيتها بالجهل ودوسها بالتحـدي الكاذب عمى وخذلان ..

الخالة : أنت تتحدث أم تهذي ..

رضوان : الهذيان والحديث شىء واحد فى هذا الوقت .

الخالة : المهم هو أن نشتغل بما يعيننا ... (**متوجهة الى زوجها**) يبدو انـك لا تعلم بشىء ؟

يوسف : مالذى أعلمه ؟

الخالة : لقد طرد رضوان من العمل .

يوسف : (**فى تعجب**) طرد ؟..

الخالة : (**فى اعادة حانقة**) طرد طرد طرد ...

يوسف : لا حول ولا قوة الا بالله.. لا حول ولا قوة الا بالله... لا بـد انـه تخاصم مع أحد اليوم ...

رضوان : لا يا أبى لقد طردت بلا مبرر .

يوسف : كان عليك ان تستعمل سياسة العصر .

رضوان : لم يعد للسياسة معنى !

يوسف : استعمل سياسة الماء .. سياسة الماء ..

رضوان : قل قوة الفيض لان السياسة بلا معنى .

الفتاة : دائما نتحدث فى فراغ .

الخالة : نحن نعيش فى فراغ .. بطوننا فراغ ... أفكارنا فراغ ... مستقبلنا فراغ ...

رضوان : **(يقاطع امه)** وعقولنا فراغ .

الفتاة : **(تقاطع ابن خالتها)** ونفوسنا فراغ وعالمنا فراغ .

يوسف : اطمئنوا .. اطمئنوا ان الله يملأ قلوب المؤمنين ونفوسهم وعقولهم .

الخالة : ان هذا قول قديم ..!

يوسف : ولكنه خالد ومتطور .

رضوان : كتطور الفقر والجوع عندنا ... **(فى سخرية)** .

الفتاة : ما الحل الآن ونحن فى هذه الوضعية السيئة ؟؟

رضوان : الحل هو أن لا نستسلم للواقع ..

يوسف : لا بد أن نرضى بهذا الواقع ..

الفتاة : **(مخاطبة خالتها)** أليس هذا قول الضعفاء .

يوسف : نحن ضعفاء على الدوام .

الخالة : ولكن نستطيع تجاوز ضعفنا .

يوسف : بأى شيء .

رضوان : **(بسرعة)** بالتحدي ...

يوسف : لنرجع الى الله .. ونملأ قلوبنا بالله .. فالرزق موكل به الله .

الخالة : لا بد ان نعمل جميعا حتى نستطيع الحياة ، فان السماء لا تمطر ذهبا..

يوسف : أنت لا تعرفين القناعة ، أليس ، من الاحسن أن تقنعى بالقليل الذى عندنا ..؟

رضوان : **(فى غيظ)** قانعون ... نحن دائما نعيش بالقناعة لان نكون نهمين نمسك الحياة فى أحضاننا بقوة والدفاع خير من أن نقنع .. لان قناعتنا موت

بطيء ·· لقد اقتنعنا أربعة عشر قرنا والآن فلنضرب الارض بقوة ·· ولندك صدرها دكا ، فسيخرج الحب خيرا ، وستخرج الحياة ماء .. النهم يا سادة حياة تتوثب بقوة ، فلنأخذ الآن الاشياء بمأخذ معاكس ···

يوسف : استغفر الله ·· استغفر الله **(ويأخذ السبحة ويسبح)** لقد قال الله تعالى : «ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » انك تفخر بقوتك يا شقى !··

رضوان : إن القوة هى الحل النهائى .. لكل المشاكل ..

يوسف : أتريد أن تنفذ من أقطار السماوات؟· **(يخاطب البقية)** أتريدون أن تنفذوا أنتم أيضا ؟.. لقد انقلبتم علي كالأفاعى كلكم تريدون نهشى ..

الحالة : أنت تتوهم ، نحن لا نريد منك الا أن تترك آثار قدميك على كل شيء، فتخلق بذلك العيش والحياة بقوة ...

يوسف : هـراء ...

الفتاة : هذا حق يا عمي ...

رضوان : لنعترف بالواقع .

الخالة : الواقع هو أن تعمل الآن شيئا لنخرج من وضعنا **(مخاطبة زوجها)** .

يوسف : **(لزوجته)** مثلا ...

الخالة : **(لزوجها)** هو أن تجد عملا آخر غير الامامة ...

يوسف : **(لزوجته)** اسكتى يا جاهلة ··· الشقيات مثلـك لا يعـرفن قيمـة بيوت الله .

رضوان : **(لأبيه)** والدى إنى أفكر فى الهجرة الى حيث لا أعلم .. ولكن مـا أطلبه منك أنت ... **(يصمت)** .

يوسف : **(لابنه)** ماذا تطلب مني ؟..

الفتاة : **(لزوج خالتها)** يريد أن يقول ... عليك بحمل شعار الحياة .

يوسف : **(فى استفهام)** شعار الحياة .. ولكن ليس للحياة شعار .. هل الحياة جندى نلبسه الشعارات ؟··

رضوان : الحياة جندى يدجج فى أعماقنا على الدوام ··· ولكن علينا ان نمنع هذا الجندي من التمييع والزيف ...

يوسف : (للجماعة) إما أنني مجنون ، أو إنكم من المجاذيب .. لم أفهم ما تقولون وما تعنون ...

صوت (1) : ستفهم .

صوت (2) : ستعلم :

صوت (3) : ستعي كل شيء وعما قريب .

صوت (4) : الحياة بلا وعي قبر مهجور .

صوت (5) : انفض الغبار العالق بثيابك ...

صوت (6) : (يتكلم بقوة ولكنه يحدث صدى مؤثرا يشبه الصوت الآتى من مكان بعيد .. يرفع الامام يديه الى السماء عندما يتكلم الصوت الاخير ويتقوى تدريجيا .. حتى يصير مزعزعا .. يتسلل فى هذه الآونة رضوان والفتاة ، وتبقى على الركح المرأة وزوجها الامام ... وقد انقلب على ظهره بحركة سريعة غريبة فوق الركح .. ثم يقوم ويسجد .. تضع المرأة يدها على وجهها وتجلس القرفصاء مدهوشة) :

ـ عندما تشرق الشمس فى أعماقك وتنطلق السيول فى حناياك ، وينبعث حنين الحياة وهجا ونارا ونورا فى قلبك المعتم ستمزج بين قوة الاسلام العظيمة وحنين الحياة الجارف فى قلبك لتكون عظيما ولتصعد دوما الى أعلى . **(الصوت يؤذن بترنيم مؤثر) .**

حيى على الحياة .. حيى على الحياة .. حيى على العمل حيى على العمل **الصوت قليلا حتى يختفى وهو يؤذن ...) .**

(يتلاشى الصلات قليلا قليلا حتى يختفى وهو يؤذن ...) .

(ستار)

ـ يتبع ـ

د. نور الدين بلقاسم

ننشر فى الأعداد القادمة

تضاريس فى الجسد المتعب ..

قصيدة شعر لأحمد الحباشة

مع رحالي مجلة "الفكر"

من الصين الشعبية إلى الولايات المتحدة الأمريكية

بقلم: علي العروبي

– 2 – (*)

1 – ج – التاريخ

وقد اهتمت هذه الرحلات بالتاريخ القديم لهذه البلدان باعتباره مؤثرا في الحاضر وموجها الى المستقبل ، ويتضح ذلك في البلدان الشرقية «فالصين ذات حضارة عريقة أصيلة وتاريخ ثوري مجيد» (1) • وقد توجهت في عهد الاستقلال الى الاصلاح الزراعي لتحرير السكان من الاقطاع الذي كان يضيق الخناق على الرقاب والنفوس وفي مدينة سامراء بالعراق يتذكر الزائر « سر من رأى » عاصمة بني العباس الثانية وهي مشهورة بضريحي الامامين حسن العسكري وعلي الهادي» (2) •

أما زائر الهند فتلفت انتباهه هذه الاعمدة الثلاثة غاندي وطاغور ونهرو بناة الهند الحديثة سياسيا وثقافيا . ورغم جهود هؤلاء الافذاذ في اخراج الهند من ظلام القرون الوسطى الى نور القرن العشرين فان المتجول لا بد أن يذكر البراهمة ونظام الطبقات ويرد مع القائلين : « إن هذه القلة من الاغنياء تعيش على حساب تلك الكثرة من الفقراء وإنها المعتقدات القديمة تحول دون رفاهية الشعب وتمنيه بسعادة الغد لتنسيه شقاء اليوم » (5) .

(*) انظر «الفكر» ع : 7 – س 31 – أفريل 1986 •

وتتحول ارتسامات عثمان الكعاك عن ليبيا الى حديث عن أصل الشعب الليبي لاعتقاده أن الانسان كائن تاريخي ، وأنه لا بد لكي نعرف الحاضر أن نلم بالماضي الماما جيدا « فالشعب الليبي شعب عربي صميم فهو يتألف من عنصرين أساسيين مرجعهما الارومة العربية القحة ، العنصر الاول البربر (...) والعنصر الثاني يتألف من عرب الفتح ومن عرب بني هلال ، وفي كثير من الاحيان التحم الفرعان أشد الالتحام (...) والى جانب هذين العنصرين الاساسيين توجد عناصر تركية في الثغور الساحلية مثل طرابلس وبنغازي » (9) كان هذه العناصر التي حلت بالقطر الليبي امتزجت في وئام عجيب وكونت حاضر الشعب الليبي الذي سنعود الى رأي الكعاك فيه فيما بعد .

ولا يتوقف الاهتمام بالتاريخ على المؤرخين فقط ، فالرحالون عموما يلمون بتاريخ البلد الذي زاروه وإن في ايجاز فمحمد مزالي يقول وهو في اليابان : « ورجعت بذاكرتي الى هذا البلد فاستحضرت ما كان يعانيه منذ حوالي قرن من وحشة الانعزال عن العالم وغربة الانطواء على النفس ويشكوه من وصمة التخلف وعار التحجر والعقم ، وكيف تم الاصلاح بفضل امبراطور عبقري ووزير فذ في أواخر القرن الماضي » (10) .

وعندما يضع البشير بن سلامة قدميه على أرض يوغسلافيا يتذكر أن شعوب هذا البلد قد عرفت العسف والارهاق ، ولما خرجت من الويلات السابقة تلم أجزاءها جرد لها الزمان مرة أخرى فيالق الحديد والشر النازية فعضت بالنواجذ على الصلد من الكرامة والجوهر من الحرية وعلى نبل الوحدة والتكاتف والتآلف بين أقوامها» (11) .

وينقلب التاريخ في بودابست الى بطل يشاهده السائح في الساحات الكبرى والصغرى وفي الشوارع والانهج ، وهذه التماثيل لثوار المجر شاهدة على مرور التاريخ من هذا البلد فمن القبائل الوثنية الى الحاق بالمجر بالنمسا فانقسام صفوف أهلها في الحرب العالمية الثانية واحتلال المانيا لها الى أن فتحتها جيوش السوفيات وهكذا في أسطر قليلة يلم الكاتب بتاريخ المجر لاعتقاده أن الحديث عن المسرح والادب والسنما مرتبط شديد الارتباط بنظامها السياسي الذي أقرته في آخر المطاف (12) .

لا شك أن للمظهر الطبيعي عموما والتاريخ خصوصا تأثيرا فى توجيه السكان نحو مسلك معين فى الحياة وبالتالى فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

2 ـ ا ـ طباع السكان وأمزجتهم :

اول ما نهتم به هو الحركة والنشاط لدى الشعوب التى قام رجالو مجلة « الفكر » بزيارتها ففى دلهي الجديدة يصور لنا محمد مزالى حركة المتجولين ونشاطهم فيرى « أجساما نحيلة وعضلات فاترة رخوة وحركات بطيئة ولا مبالاة ظاهرة واطمئنان يكاد أن يكون لا شعورا أو نوما » (5) .

وعبثا يحاول أن يتبين ثورة أو نقمة أو استعدادا للثورة وميلا الى النقمة اذ القوم بما لديهم فرحون وعن حالهم راضون فيقول المسافر : إنه التقشف احتقار للدنيا وازدراء بأسبابها واعراض عن مباهجها (5) .

فهل يمكن أن نقول : « إن بلدان الشرق كلها على هذه الشاكلة حركة بطيئة وازدراء بالحياة أو ما يسميه مزالى بالروح الشرقية وهى « قرار وانكار للزمان » (5) .

يمكن أن نعمم ذلك ، ولكن مع حذر شديد : اذ توجد فروق بسيطة من حيث انتماء هذه الشعوب الى أديان وعادات مختلفة ، بيد أنه يمكن أن نضع الجميع فى نطاق البلدان المتخلفة صناعيا .

واذا انتقلنا الى الولايات المتحدة الاميريكية نرى أن الراجل يكاد يهرول فى مشيته فهو أقل بطء من سكان حوض البحر المتوسط وأكثر سرعة من السكندنافيين والالمان ، أما من حيث اللباس فالجمهور الاميريكى أكثر أناقة من الجماهير باوربا وأسرع الى حلق اللحى ، والوجوه أقل عبوسة وأقل تشنجا منها فى باريس أو فى لندن (6) فى حين يلاحظ السواح فى شوارع دلهي القديمة اللحى كثيرة والازياء غريبة ، وأسباب الصحة والعلم مفقودة ومرافق الحياة العصرية مجهولة ودلائل الفقر والبؤس على الوجوه مرسومة (5) .

وشتان بين الوجوه النحيلة والوجوه الناعمة المترفة أو بين النفوس الساكنة الجامدة المنطوية على نفسها وبين النفوس المتحركة المتوثبة .

وهذا الاختلاف الجوهرى بين انسان الغرب وانسان الشرق له تأثير واضح فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى .

2 ـ ب ـ النشاط الاقتصادى والاجتماعى :

ففى حين تختفى الحكومات فى البلدان الغربية وتظهر المبادرات الفـردية كاقوى ما تكون كفاحا وطموحا نجد الحكومات الشرقية تقود أهلها نحو الافضل وتعمل جاهدة لاخراج الانسان الشرقى من ظـلام التـأخر الى نـور التقـدم المشرق ، ولا أدل على ذلك من هذه المخططات الاقتصادية بشعوبها من وهـدة التخلف ،فالمعجزة الصينية تمثلت فى هذا الثالوث الاصلاح الزراعى وتصنيع البلاد والتعليم بعد أن « تحرر عمالها وفلاحوها وشبابها ونساؤها فانطلقت مواهبهم نحو الخلق والانشاء » (1) .

أما الشعب العراقى قبل ثورة جويلية 1958 فهـو يشكـو الجهـل والجـور الاجتماعى ، وتعانى البلاد من تعصب الفئات الدينية الذى تشجعـه حكـومة العهد البائد أو تغض عنه الطرف ، وتمتص خيرات الشعب العراقى الطبقة الحاكمة وأرباب الشركات الاجنبية ، وبما أن الحكومة الملكية لا ترغب فى ترقية الشعب العراقى اجتماعيا فانها لا تهتـم بالنـاحية الاقتصـادية بالتصنيـع خـاصة (2) .

وتتعرض الرحلة الثالثة الى الهزة النفسية التى أحدثتها الثورة المصرية فى نفوس الجماهير فاندفعت تعمل بجد ونشاط رغم الخصـاصة والفقـر ، فقد جعلت هذه الهزة الفلاح المصرى يعمل ويكد أضعاف ما كان يبذله سابقا من جهد متحملا التضحيات عن طيب خاطر : اذ تكونت فى نفسه روح جديدة للعمل والانتاج لرفع مستوى بلاده ، ويستخلص زائر مصر فى ذلـك العهـد ، ان الشعوب لا تنهض الا اذا سلمت النوايـا واخلص الجميـع فى خـدمة المثـل الأسمـى » (3) .

فالشعوب الشرقية اذن فى حاجة الى قادتها ليفجروا طاقاتها الكامنة فيها ، ويوجهوها نحو الارقى ، فاذا انتقلنا الى الهند نرى اهتمام مـزالى بالثـورة العجيبة التى قام بها رجال الحكومة الهندية الذين « أعرضوا عن الاصلاحات المفروضة التى قد تفشل بسبب عدد السكان ورسوخ العـادات فى الاذهـان

والقلوب ، وربما لانهم بطبيعتهم يكرهون العنف وأخذوا يغيرون البنية الاساسية للبلاد لاعتقادهم أنه متى تغيرت ظروف الحياة وأحوال المعيشة تغير أسلوب الناس فى العيش وتغيرت نظرتهم الى الاشياء » (5) .

ويبرز مدير « الفكر » المشاريع الاقتصادية والاجتماعية التى ترغب حكومة الهند فى انجازها وتحقيقها فى هذه البلاد التى يثقل اجنحتها ميت التقاليد ومدقع الفقر وكثرة السكان » (5) .

وقد بلغ مستوى الصناعة حدا بعيدا فى الولايات المتحدة الاميريكية فانعكس ذلك على طبيعة الاميريكان فهم متفائلون بالحياة محبون لها ويرغبون فى العمل والحصول على المال رغبة شديدة والسائح فى هذه البلاد لا بد أنه يلاحظ هذه النعمة الشاملة فى طول البلاد وعرضها (6) .

وتتجلى من خلال المعجزة اليابانية القدرة على الاخذ والعطاء ، وتمسك القوم بثقافتهم الى حد التعصب فهم « لم يقلدوا الغير فى لغته وحضارته وأسلوب عيشه ، إنهم أخذوا من الدول المتقدمة الصناعات والاساليب الفنية والمناهج الناجعة ، ولكنهم احتفظوا بروحهم وظلوا غيورين على شخصيتهم » (10) .

واذا انتقلنا من اليابان الى الدول الاشتراكية نلاحظ أن هذه البلدان رغم ما نسمع عنها من تقشف وزهد ، هى الى مجتمعات الاستهلاك أقرب والى التهافت على البضائع الاجنبية أميل (11و12) .

2 ـ ج ـ الثقافة والعلوم :

وتستوقف القارىء لهذه الرحلات ظاهرة عجيبة هى الاهتمام بالثقافة والعلوم وخاصة الرحلات التى نشرت فى أوائل الاستقلال ، ومن المعلوم أن حكومة الاستقلال قد لبت رغبة الشعب التونسى فى التهافت على التربية والتعليم الذى حرم منه فى عهد الحماية ، وهذه الرحلات تعكس هذا الشوق والتحرق الى الدراسة والتحصيل تصف المؤسسات التعليمية فى هذه البلدان وصفا لا يخلو من دعوة الى النسج على منوالها واحتذائها .

يمكن أن نتحدث عن التعليم والثقافة فى البلدان الشرقية ثم فى البلدان الغربية ونهتم بادىء ذى بدء بالبنية الاساسية والتجهيز ، فالبناءات المدرسية فى الصين بسيطة متواضعة لا نقوش فيها ولا زخرف (1) . أما المدرسون فهم دار لحضانة الاطفال (3) كما أقيمت المدارس فى القرى النموذجية بالهند (5) . والفلاحون فى مدارس ليلية ، ويقوم بالتدريس فى هذه المدارس معلمون متطوعون .

وفى مصر اعتبر وجود المدرسة ضروريا فى كل وحدة سكنية،وكذلك وجود دار لحضانة الاطفال (3) كما أقيمت المدارس فى القرى النموذجية بالهند (5).

ويرجع محمد مزالى اهتمام الهند بالتعليم والثقافة الى دعوة قادة الفكر فيها وما أنجبته من فلاسفة وأدباء وشعراء وعلماء ، ونتيجة لذلك فالبحث العلمى يعتبر من أوكد شواغل الحكومة فقد انشأت منذ سنة 1948 وزارة للبحث العلمى وظيفتها تنسيق الابحاث العلمية التى تقوم بها مختلف المعاهد العامة والخاصة ويوجد بها (سنة 1957) ثلاثة عشر مخبرا علميا قوميا ، وعشرات من المخابر الخاصة ، وهذا الاقبال على العلوم هو الذى أوصل الهند اليوم الى مصاف الدول التى تنتج القنابل الذرية . ومما يدل على نهضة الهند الحديثة هذا العدد المهول من الصحف اليومية (330 صحيفة سنة 1957) واحتلالها المرتبة الثانية فى العالم من حيث الانتاج السنمائى . وتبقى الهند لدى الكاتب رغم ما يلوح على أهلها من فقر وتقشف بلد الحكمة والتسامح والثورة الهادئة (5) .

وفى الولايات المتحدة يلاحظ الزائر أن معاهد التعليم والمخابر والمكتبات وقاعات النوم والمطاعم وقاعات اللهو والمطابع والمكاتب تكون مجموعة واحدة ، ومكتبات الجامعات غنية الى حد مدهش ، وفيها تجد لا الكتب فحسب بل مجلات العالم كله وجرائده الصادرة فى القارات الخمس بما فيها المجلات المطبوعة فى الاقطار الشيوعية . وقد أقيمت هذه الجامعات بعيدة عن المدن ، وهى لا تعدو أن تكون واحات حقيقية بما يسودها من سكون ، وما يوجد فيها من أسباب الراحة ففيها الحدائق المخضرة والبساتين المزهرة والجو الانسانى الذى يكتنفها فريد فى نوعه : اذ الاساتذة يعيشون غالبا فيها وهم باتصال دائم بالطلبة وعلائقهم بهؤلاء ودية للغاية (6) .

ويذكر صاحب انطباعات عن موسكو أن الاتحاد السوفياتى قضى على الامية بفضل المخططات التربوية التى رسمها لنفسه (7) .

واذا كانت بلدان العالم الثالث ما زالت مترددة فى اللغةالصالحة للعلـوم واللحاق بركب البلدان المتقدمة فان اليابان لا توجد بها هذه العقدة المزمنة ففى جامعاتهم يدرسون الفيزياء والكيمياء وعلم الحياة بلغتهم الاصلية فى جميع مراحل الدراسة (15) .

أما كاتب أيام مجرية فقد قدم لقراء مجلة « الفكـر » ملامـح وعلامـات من ثقافة المجر اليوم ، وخاصة فى مجال التأليف والتمثيـل المسرحى والـرسم ومتاحفه وكذا الادب لجميع أغراضه ، وعرف بأبرز الفنانين والكتاب المعاصرين فى هذا البلد (12) .

وهكذا نلاحظ أن التعليم والثقافة أمران ضروريـان فى كل رحلـة ، ولا يستغرب هذا الاهتمام من مثقفين يعدون من أبرز كتاب تونس ومفكريها فى الوقت الحاضر .

3 ـ المـواقف والاسلـوب :

هذه الرحلات ليست وصفا آليا أو تصويرا فتغرافيا ، إنها تبرز مشاعـر كاتبيها ومواقفهم مما شاهدوه أو عاشوه ، فجاءت هذه الـرحلات مصطبغـة بتجربة أصحابها وثقافتهم الشخصية ، ولكل كاتـب وجهـة هـو موليهـا ومهتم بها .

ولعل هذه المواقف تزيد هذه الرحلات طرافة وقيمة بين فنون المقالة على اختلاف أنواعها ، وتقتصر على بيان مواقفهم فى المجال السياسى والاقتصادى ثم الانتاج الادبى والفكرى عموما .

فالمعجزة الصينية لدى المثقف التونسى هى عبرة لنا ولغيرنا خـاصة فى الميدان الفلاحى لانها معجزة شعب تحرر نهائيـا من الاستعمـار والاقطـاعية البغيضة وقدر قيمة الاتحاد والتكتل فى جبهة واحدة صامدة دعامتها اتحـاد العملة والفلاحين « وبذلك استطاعت الامة الصينية أن تحل مشاكل الارض والتأخر الاقتصادى فانطلقت مواهب أهلها نحو الخلق والانشاء » (1) .

ولاحظ صاحب « مشاهداتى فى مصـر » التفاف الشعب حـول الثـورة المصرية التى كانت فى عنفوانها فى هذه الفترة ، واعتنى أثنـاء زيـارته الى

المعامل المصرية والحقول وحتى فى بعض مقاهى القاهرة بالتحدث الى أبناء الشعب من الطبقات العاملة ، ورجع بفكرة مخالفة لما سمعه أو قرأه فى الصحف الغربية وهى تمكن الثورة المصرية من فرض وجودها على معارضيها (3) بخلاف الشعب العراقى الذى كان يشكو فى عهد الملكية الحكم الفردى الذى تفشت مظاهره فى الصحافة والاحزاب والادارة وتفشى العصبية الدينية (2) .

وفى الطائرة من تونس الى المغرب الاقصى تزاحمت الذكريات فى ذهن محجوب بن ميلاد وتذكر آمال طلبة شمال افريقيا عندما كانوا بباريس وهم يحلمون بوحدة بلدان المغرب العربى خاصة بعد استقلال تونس والمغرب الاقصى وها هى صلات التعاون والتضامن تربط من جديد بين جناحى المغرب العربى الكبير (4) .

وتكون أحكام المسافر الى بلاد الهند ـ حسب محمد مزالى ـ منقوصة اذا هو اكتفى برؤية بعض ما هو موجود من دون أن يتساءل عن أعمال الحكومة الوطنية منذ استقلال البلاد ويتعرف الى نصيب الجهود التى تبذلها فى ميدانى الاجتماع والاقتصاد على الخصوص من النجاح (5) .

وأبرز البشير العريبى رغبة الاتحاد السوفياتى فى السلم وتحاشيه الحرب المدمرة ، وظهر له ذلك جليا من خلال المهرجان العالمى السادس للشباب والطلاب الذى انعقد بموسكو ، وما انفقته الدولة من أموال طائلة على شباب العالم فى الوقت الذى يعتقد فيه الناس « بأن الاتحاد السوفياتى ينطوى على نفسه ويوصد أبوابه دون العالم الديمقراطى المتفتح فلا يعيش فيه الناس أحرارا طلقاء ولا ينطوون على خير بل هم قوم يحيكون للعالم مؤامرة خطيرة خلف ستار حديدى بارادة قادتهم وبحكم مبادئهم الشيوعية الهدامة » (7) .

ولما زار رئيس تحرير « الفكر » يوغسلافيا أبهره هذا الاكسير الثلاثى المتمثل فى الكرامة والحرية والوحدة ، وفاز من هذه الزيارة بالتعرف على سر النجاح السياسى الذى لاقته الثورة الاشتراكية فى يوغسلافيا ويتمثل هذا النجاح فى « هذا التوازن الذى يوجده نظام من الانظمة فى مجتمعه بين الافراد والمجتمعات ويجعلهم ـ سواء كسبوا القليل أو الكثير ـ راضين مقبلين على العمل بعيدين عن التوترات والرجات المخلة بالتوازن النفسى للافراد

والجماعات وأحسب أن النظام فى يوغسلافيا أوجدوه إن قليلا أو كثيرا وسلامته فى المحافظة عليه » (II) .

ونتخذ « أيام مجرية » كمثال نبرز من خلاله مواقف صاحبها من الانتاج الادبى والفكرى فى البلد الذى زاره . فمسرح المخرج المجرى كازمير لا يتحرج الزائر من القول بانه اعلامى من خلال المسرحية التى شاهدها ، ويتبنى الرأى المعارض القائل : بأن مسرح تلهية لا يحل شيئا من القضايا التى تواجهها المجتمع المجرى ، وفى أسلوب قصصى طريف يقدم صاحب « الأيام المجرية » مواضيع اللوحات الزيتية التى شاهدها فى المجر ، ويلجأ فى هذا التصوير والنقد الى المقارنة بين أحد الرسامين المجريين وبين الرسامين المعروفين ثم يبرز المستويات والابعاد المتداخلة للوحة التى شاهدها مثل لوحة بعلبك لتشونفارى .

أما أدب المجر فهو زاخر وقوي وذو نبوغ لا شك فيه ، فمن من القراء لا يعرف الناقد المجرى جورج لوكاتش والكاتب الروائى تيبو ديرى وغيرهما .

وهكذا نرى أن هذه الرحلات تعبر عن مواقف أصحابها مما شاهدوه بالانطلاق من تجربتهم الشخصية ، ولم تنعكس هذه التجربة على مواقفهم فقط بل تجلت كذلك فى الاسلوب الذى توخوه لعرض آرائهم .

إن الاسلوب الذى كتبت به هذه المشاهدات هو أسلوب المقال الادبى والعلمى ، فاصحاب هذه الرحلات يعرضون مشاهداتهم فى أسلوب يرمى الى الاقناع ومشاركة القارىء لهم فى خواطرهم وتأملاتهم عن هذا البلد أو ذاك فيلجؤون الى الاسلوب القصصى فهذا مدير « الفكر » يضع حوارا بينه وبين أحد المسافرين الى بلاد الهند فيعرفه بماضى الهند وحاضرها ويطوف به فى مدينة دلهي مذكرا إياه بالنظام الاجتماعى والمعتقدات الدينية ساخرا من نظرته الضيقة إن هو اكتفى بما شاهده دون تساؤل عما قام به قادة الفكر فى هذا اليوم ، وهو ينتقل بقارئه من ظاهرة الى أخرى بكل تؤدة ورفق فى أسلوب لا يخلو من متعة فنية وفكرية .

ويتحول حسن عباس إلى بطل قصة قصيرة تائه فى نيويورك يطوقه الهم والغم من كل ناحية ، ولم يجن من رحلته « سوى صداع جعجعة ودوار شريط انطوت صوره بسرعة ، فلم يبق عالقا منها فى الذاكرة سوى مشاهد معدودة ووجوه بعينها » (8) .

وتنساب الخواطر على محجوب بن ميلاد وهو فى طريقه الى المغرب الاقصى فيسلط الاضواء على ما كان يبذله طلبة المغرب العربى من إرهاق وجهد فى سبيل الحصول على المعرفة واقتلاع الشهادات العلمية من جامعات فرنسا .

ولعل هذه الرحلات تقترب الى شكل المقال الادبى ولكنها تختلف معه من حيث المحتوى والموضوع ، ففى حين يلجأ المقال الادبى الى التركيز على فكرة معينة ويحاول النظر اليها من جهات متلخفة يعمد أصحاب هذه الرحلات الى الاحاطة بمواضيع مختلفة اذ ينتقلون من التاريخ الى الجغرافيا ثم تخطيط المدن دون أن يهملوا الجانب الاقتصادى والاجتماعى .

وتبقى لهذه الرحلات أهمية كبيرة اذ أنها تكشف عن رأى المثقف التونسى بعد الاستقلال فى تجربة الامم الاخرى فى الميدان الاقتصادى والتربوى بالخصوص مع العلم أن استقلال تونس وشروع قادتها فى بناء الدولة الحديثة جعل هؤلاء الرحالين يتحدثون عن البلدان التى زاروها حديث المعتد ببلاده الواثق من سلامة مسيرتها بخلاف الرحالين الذين عاشوا قبل الاستقلال .

وتبرز هذه الرحلات حضور تونس الدائم فى أذهان هؤلاء الكتاب ، فان لاحظوا ظاهرة ما تذكروا شبيها لها فى تونس ، فهذا مدير « الفكر » تذكره البناءات العتيقة فى الهند بمطماطة فى الجنوب التونسى ويرجو للهند أن ينظر سكانها الى هذه البناءات نظرة السائح « كما سينظر أهالى مطماطة عندنا الى الحجرات المحفورة فى الجبال يوم تبنى لهم المساكن اللائقة ويبقى للهند ولمطماطة طابعهما » (5) .

ويتمثل المظهر الثالث فى الدعوة الى التمسك بالشخصية القومية أولا باعتبارها حصانة ومناعة أمام الزحف الحضارى للثقافات الغازية ثم الاخذ عن الامم الاخرى ما يصلح لهذه الشخصية وما يلائم طباعها وطموحها ، فهذه اليابان أصبحت من الدول الاقتصادية الكبرى مع تمسكها بلغتها وحضارتها وأسلوب عيشها مما يدل « على أن ثمن المعاصرة وضريبة الخروج من التخلف ليس حتما فى تقليد القوي واستيراد مذاهبه وأساليب عيشه ، وأن الاصالة لا تتضارب مع التقدم العصرى والتطور التقنى ، وأن الامر هو أولا وآخرا فى معرفة ما اذا توفرت فى أبناء الامة الطموحة الى الحياة الحق ارادة البقاء والثقة فى النفس والقدرة على الهضم الحضارى والايمان بحتمية المساهمة الطريفة الايجابية فى انماء الحضارة الانسانية » (15) على حد تعبير الاستاذ محمد مزالى .

على العريبى

لحظة بوح

شعر: حسن عبدالله

أجلسُ في رُكْنِ المقهَى
أشعِلُ للبوحِ سِجَارَةْ ..
تصَاعَدُ منها حلَقَاتْ ..
تتَألّقُ في رَأسي الفِكرَةْ ..
أشعُرُ بالفرَحِ الهستِيريِ ..
يغمرُني
نفحَاتُ الشّعْرِ تُراوِدُني
في لحظَةِ عِتْقِ الكَلِمَاتْ
أصبحُ مَخلُوعا منْ جَسَدي
رُوحا تتبرّجُ فوْقَ النارِ ، وتَحْتَ المَاءِ ،
تتَسلّقُ تيّارَ الغرْبَهْ
جبَلَ الزّخاتْ
أخرُجُ منْ دائرَةِ الاصغَاءْ
لا أسْمَعُ في المَقهَى أيَّ ضَجيجْ
ينْداحُ كيَاني مُبتَهجا

تَتَزَاحَمُ فِيهِ الآيَاتْ
تَعْصِرُنِي السَّاعَاتُ نَبِيذاً ..
تَشْرَبُنِي
وَالكَأْسُ أَمَامِي حَائِرَةٌ
تَتَغَرَّسُ وَجْهِي
مُصْغِيَةً لِهُمُومِ الحَاضِرِ وَالآتِي
فِي غَمْرَةِ بَوْحِي أَشْعُرُ بِالإِخْصَابِ يُحَرِّكُنِي
قَطَرَاتُ نَدَى ..
تَتَسَلَّلُ لِلوِجْدَانِ تُخَضِّبُهُ ..
وَيَفُوحُ شَذَا شَبَقِ الكَلِمَاتْ
فِي غَمْرَةِ بَوْحِي ..
أَرْفَعُ فِنْجَانِي .. يخفضني ..
أَسْمَعُ صَوْتَ النادل يُوقِظُنِي
تستيقظ فِي سَمْعِي الأَصْوَاتْ .

حسن عبد الله

ننشر في الاعداد القادمة

ورقات مهملة من كتاب « المتشائل » ..	**كمال قداوين**
قصائد قصيرة	**احمد صنديد**
عيناك قدري	**سمير الحياري**
بدءا من فضاء	**الصادق شرف**

أثر الكلمة الحارة في الثورة الجزائرية

بقلم : علي عليلات
(الجزائر)

- 2 - (*)

أما الشاعر : حسن حموتن ، فها هو يقول لما أضربت الجزائر اسبوعا كاملا رغم محاولات الفرنسيين العديدة لتغطية الاضراب بوسائلهم الاعلامية الكاذبة :

حدث خليل عن مدى الاضراب وانقل صداه الى ذوى الالباب
اضراب اسبوع وهل سمع الورى في العالمين نظير ذا الاضراب
نقلته امواج الاثير الى الملا في الخافقين بمنتهى الاعجاب
يا يوم اصبحت المدائن والقرى موقوفة الاعمال والاسباب .

وقد استمر الشاعر : حسن حموتن في قصيدته الطويلة في سرد الويلات التي صبها الاستعمار على الشعب الجزائري فيقول :

ملأوا المحاشد بالرجال وافعموا ! كل السجون على اتساع رحاب
تلك المحاشد والسجون شواهد بجرائم الجلاد والقصاب
كم من شهيد مات تحت سياطهم ! كم من اسير مات في سرداب !

كذلك تأثر الشاعر الجزائري : الشبوكي بالاحداث ، فها هو يتحدى المصائب حيث يصيح قائلا :

عزمات الشباب فيض من النور وموج من الكفاح الشديد
انما تبتني الشعوب على اكنـ ـافه المجد من زمان بعيد
ايها المغرم الميتم بالمجـ ـد تقبل تحيتي ونشيدي

(*) انظر « الفكر » ع : 7 - س : 31 - أفريل 1986 .

وفى خضم المعارك الطاحنة بعد أن اشتد عود الثورة ، وهى فى عامها الثالث، اقسم الثائر الجزائرى على الاستمرار فى الثورة حتى تحقيق الهدف (الاستقلال الكامل) والشاعر صالح خرفى يصف لنا هذا فى قوله :

اقسم الحر فى الجزائر ان يبـ ـقى وبالا على الطغاة ، ليفنوا
بـذل الاهل والديار فداء وهو بالروح يا اخى لا يضن
من يعش للهوان فى ظهر ارض فجدير به من الارض بطن
داهموه بجحفل من ذئاب لهمو فى ابادة الخلق فن
فتصدى لهم بعزم وصدق انما الصدق فى الحروب المجن
هو فى عالم الحقيقة إنس وهو فى مسرح البطولة جن
يا فرنسا ما النصر حشد عتاد او (لفيف) فى المخزيات مفن
انه خطة يوجهها اللـ ـه ، وحق من السماء يسن
سنوات ايا فرنسا ثلاث وبنوك الذئاب بالحرب جنوا
يا فرنسا قد شنتها لثلاث واذا رمتها لعشر فيمن
قد تزول الجبال عن موقع الاقـ ـدام منا ، ونحن فى الحرب نحن
نحن شعب لا نعرف الياس ايما ن قوى وخاطر مطمئن
ان نعش يومنا رصاصا فحتما نغمة النصر فى غد سترن (10)

اما الشاعر : احمد سحنون (*) فانه خاطب جيش جبهة التحرير الوطنى بتحية جاء فيها على وجه الخصوص :

ايها الجيش ان فضلك لا يخبو شذاه على توالى العصور
انه الشمس لا يوارى سناها لحجاب ـ ان اشرقت ـ او ستور

---

(10) مجلة آمال : نماذج من الشعر الجزائرى المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال) عدد : 3 .

(*) احمد سحنون . ولد عام 1906 ، وقيل عام 1907 . بقرية : ليشانة من الزاب الغربى (بسكرة) أخذ مبادىء العلوم على والده وشيوخ عصره . اتصل ببعض شخصيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ونشر شعره فى جرائدها . سجن من عام 1956 حتى 1959 . له كتاب : دراسات وتوجيهات اسلامية .

قد هجرت الديار فى الله لم تحفل بزوج ولا وليد غرير
وازدريت العيش الرخى فلم تعبا بنوم ولا فراش وثير
واتخذت الجبال كالنسر ماوى وكذاك الجبال ماوى النسور
وتعرضت للجليد وللثلج ولم تخش ثورة الزمهرير
تتلقى جيش الاعاصير فى الليل وجيش الاعداء عند البكور
ذاك جيش التحرير يحدوه للتحرير عزم ويقظة فى الشعور • (11)

وعندما يئست فرنسا من القضاء ـ بشتى الوسائل العسكرية والسياسية ـ على الثورة الجزائرية ، أوهمت الجزائريين بحق تقرير المصير بهدف تقسيم البلاد الى شمال وجنوب ـ كما حدث ، ويحدث الآن فى بعض مناطق كرتنا الارضية ـ غير أن الشعب الجزائرى رفض التنازل حتى عن شبر من أرضه ، حيث أعلن فى اصرار على استمرار الجهاد بكل أنواعه ومنه الكلمة التي نجد حرارتها فى شعر : صالح خباشة (*) من قصيدته الطويلة :

دعوا الكثبان جنبا ، لا تضيعوا لحا ظلم اذا ما الرمل ثارا
دعوا تلك المفاوز ، لن تطيقوا على حر الظما فيها اصطبارا
دعوا تلك المعادن فى ثرانا ابينا فى مواردنا احتكارا
دعوا البترول فى الصحراء يجرى نضارا ، نحن ندخر النضارا
ففى (باريسكم) لم تحفظوه فكيف وحوله اسد الصحارى !
فكم جيش تطفل فى الفيافى سحقناهم بياتا او نهارا
قد انصبت طوارقنا عليهم ومن يثنى الطوارق والمهارى !
دعوا الاجواء فهى ملغمات تحطم كل سرب حيث طارا
وحول النفط نكمن من قريب متى شئنا استحال النفط نارا (12)

---

(11) نفس المرجع • ص : 80 •

(*) ولد عام 1933 (بالقرارة) احدى واحات وادى ميزاب بولاية الاغواط • ذهب الى تونس للدراسة ، وفى سنة 1958 توجه الى بغداد ضمن بعثة الطلاب الجزائريين • فحصل على (الليسانس) فى الآداب سنة 1961 • كان أيام الثورة النوفمبرية عضوا فى خلاياها • يعمل منذ الاستقلال استاذا فى التعليم الثانوى • وفى مدرسة المعلمين ب (بوزريعة) •

(12) نفس المرجع • ص : 215 ـ 216 •

وكذلك كان للكلمة الحرة غير المقفاة دورها فى التعبير عن الـم الشعـب الجزائرى خاصة الفلاحون الذين يكونون سواد سكان أرض الجزائـر • وأن الثورة لم تنجح الا بفضل سواعدهم التى كانت (ممرغة) فى الوحل والآلام والعذاب والمآسى • فها هو الاستاذ أبو القاسم سعد الله (*) الذى خرج من بحور الخليل وأوزانه لينطلق من جديد فى التعبير عما يختلج فى نفسه الثائرة على كل المستعمر وأعماله تجاه الجزائريين الذين جعلهم عبيدا له ، فيقول :

حتام أفترش الحصير ؟
واساكن الكوخ الحقير ،
واساهر الحرمان والالم المرير ،
وتلوك جنبى الخشونـه ،
ويحيطنى قبـو العفونـه ؟
لا غاية تدنو •• ولا امل طليق
دنيا من الحرمان والدم والشهيق
فالامس لوح اسود
واليوم موج يصخب
وغدى طريق مبهم
....
لا شـيء يمنع سيلنـا
ان قمقعت فى افقكم
عزماتنا وصراخنا ••
فى أرضنا المـلأى
بجنـات الحصيـد
سنعيش احرارا وصيد
فى أرضنا البكر الولود

أما عن ليلة أول نوفمبر 1954 التى كانت حلما وأصبحت حقيقة ، فقد جاء فى شعره عنها ما يلى :

كـان حلما واختمـارا
كان لحنا فى السنين
كان شوقا فى الصدور
ان نرى الارض تثور
أرضنا بالذات ارض الوادعين
ارضنا السكرى بافيون الولاء
ارضنا المغلولة الاعناق من قرن مضى••
كان حلما كان شوقا ، كان لحنا ،

(*) أبو القاسم سعد الله : ولد عام 1930 فى « قمار » من وادى سوف . وبهـا حفظ القرآن الكريم • درس فى الزيتونة • ثم عاد الى الجزائر ودرس فى مدرسة «الثبات» بمدينة «الحراش» ثم فى مدرسة «التهـذيب» بالعيـن الباردة • نال الليسانس فى جامعة القاهرة • والماجستير والدكتوراه فى التاريخ بجامعة «منيسوتا» بأمريكا • الآن استاذ فى التاريـخ بجـامعـة الجزائر •

غير ان الارض ثارت	ملثما تهوى الظنون
والهتافات تعالت	وبراكيـن بـلادى
من رصاص الثائرين	هـزت الدنيـا ومارت
والكثافات تهاوت	كقلوب الكرماء الوادعين (13) •

ومن نغم هذا الشعر الذى كانت اصداؤه تتردد فى كل سهل ووادى ، فى كل مكان حل فيه الثوار الابطال • حتى خارج الوطن الملتهب ، فهذا الشاعر : عبد السلام حبيب ، يهتز لبطولة : محمد بن الصادق الذى قتل الخائن «علـى شكال» ـ اغتال هذا الفدائى ذلك الخائن فى قلب باريس وهو بجوار رئيس الجمهورية الفرنسية « كوتى » ـ لقد فاض سرور عبد السلام حبيب لهـذا الحادث فصاح منشدا :

خذها ، ودمدم من مسدسه رصاص	باسـم الوطـن
خذها فقد حان القصاص ••	باسـم الجراح الراعفـه
الويـل لـك	باسـم الجزائـر
شعـب الجريـح	والنضـال
لـن استريـح ...	خذها رصاصة ثائر (14) .
حتى تموت . سأقتلـك	

واما الشاعر الجزائرى «صالح خرفى» الذى ما يزال يناضل بكلمته فى ثورة البناء والتشييد كما كان يقولها ـ كغيره من الادباء الشعراء الجزائريين ـ ونار «النابالم» مشتعلة ، فهاهو يتحدث بلسان أم تناجى ولدها الذى يمثـل جيلا سيستقبل الحياة مشوها مريضا (*) وتدعوه الى الثورة ضد المعتدى الذى يعبث بالقيم الانسانية فيقول :

ولـدى ان سطت عليـك الرزايـا	واشـارت لـك السمـا بالمنـايـا
وسـرى فـوقنـا غـبـار مبـيـد	فترامت صرعى الوف الضحـايـا
ولـدى ، فانتفض معى ومع الآلاف	فـى ثـورة تـطـيـر شـظـايـا

---

(13) أبو القاسم سعد الله • ثائر وحب • منشورات دار الآداب بيروت 1967
(14) تاريخ الادب الجزائرى • ص : 339 •
(*) لقد جربت فرنسا قنبلتها الذرية الثانية بالصحراء الغربيـة الجزائريـة بـ « رقان » ، وذلك يوم 31 مارس 1960 وهذا يعد بمثابة انذار غير مباشر للثورة الجزائرية قصد التأثير عليها من كل الجوانب .

ضاع عمري اذا افتقدت عزيزي — فيك سفر المنى وسحر العيون
واذا رمت ان تبوح بسر — خانك النطق فاحتمي بالسكون
يا عزيزي لن يبصروا النور — والاشعاع يوما ، ومقلتاك ظلام
لن يسيروا خطى وانت كسيح — تكلت خطوة الامور الجسام
فشلت في الجبال قنبلة البطـ — ـش فراموا تفجيرها في الصحاري
ذرة الرمل صخرة الجبل — سيان في الوفاء للدمار [كذا !]
ان تكن قسوة الجبال جليدا — ان بطش القفار لفحة نار
من يته في مجاهل الاطلس الـ — ـوعر ، فصحراؤه بغير فرار (15)

ومن الشعراء الجزائريين الذين أصبحت كلمتهم تتردد على لسان المجاهد في كل مكان من أرضنا الطاهرة، وعلى لسان كل امرأة أينما كانت، ومايزلن يرددن بعض أناشيده حتى اليوم في مواسم الافراح والاعراس فهذا الشاعر المناضل : مفدي زكرياء (*) شاعر الثورة الجزائرية ، فاذا كان «فلاديمير مايكوفسكي» شاعر الثورة الروسية ، و «أرنيستوكاردينال» شاعر الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية ؛ «فان مفدي زكرياء يعد بجدارة شاعر الثورة الجزائرية ، ومدون احداثها ، وراسم أناشيدها» (16) .

فها هو يتحدث عن ليلة الميلاد ، ليلة نوفمبر منشدا :

دعا التاريخ ليلك فاستجابا — (نفمبر) هل وفيت لنا النصابا ؟
وهل سمع المجيب نداء شعب — فكانت ليلة القدر الجوابا ؟
تبارك ليلك الميمون نجما — وجل جلاله هتك الحجابا
زكت وثباته عن الف شهر — قضاها الشعب يلتحف السرابا

---

(15) تاريخ الادب الجزائري . ص 340 ـ 341 .
(*) مفدي زكرياء : ولد يوم 12 جمادى الاولى 1326 هـ / أفريل 1913 م . ببني يزقن بنواحي «غارداية» درس الدروس الثانوية بالخلدونية ، ثم التحق بالزيتونة . شارك في النشاط الاولي السياسي قبل الثورة التحريرية . دخل السجن مرات متوالية . مات بتونس يوم الاربعاء 2 رمضان 1397 هـ 17 أوت 1977 م . ودفن في بلده الاصلي بوادي ميزاب .
(16) علي نويهض . أعلام الجزائر .

تجلى ضاحك القسمات تحكى كواكبه قنابله التهابا
وهزت «ثورة التحرير» شعبا فهب الشعب ينصب انصبابا
تنزل روحها من كل امر باحرار الجزائر قد اهابا
وبرزت الكواعب قاصرات فرحن يخضن للموت العبابا
ولعلع من «شلعلع» ذو بيان فانطق فوق «جرجرة» الجعابا
وشبت من ذرى «وهران» نار رآها «برج مدين» فاستجابا (*)
وقال الله ، كن يا شعب حربا على من ظل لا يرعى جنابا
وقال الشعب : كن يا رب عونا على من بات لا يخشى عقابا
فكان وكان من شعب ورب قرار احدث العجب العجابا •

وكان يقول كلمته المناضلة حتى داخل سجن بربروس •

السيف اصدق لهجة من احرف كتبت فكان بيانها الابهام
والنار اصدق حجة فاكتب بها ما شئت تصعق عندها الاحلام
ان الصحائف للصفائح امرها والحبر حرب والكلام كلام
خير المحافل فى الزمان جحافل رفعت على وحداتها الاعلام
لغة القنابل فى البيان فصيحة وضعت لمن فى مسمعيه صمام •

واذا كانت فرنسا تحاول خنق الثورة النوفمبرية المجيدة بكل ما ملكت يداها من قوة وبطش فى القرى والمداشر ، فى السهول والجبال ، فى المدن والارياف • فها هو نشيد الثورة يؤلف فى أحد سجونها المظلمة المخيفة ـ سجن بربروس ـ من طرف مفدى زكرياء فى 25 أفريل عام 1955 ومنه :

قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الدافقات (**)
والبنود اللامعات الخافقات فى الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة او ممات
وعقدنا العزم •• ان تحيا الجزائر
فاشهدوا ، فاشهدوا ، فاشهدوا .

(*) برج مدين : كناية عن تلمسان •
(**) فى النشيد الرسمى الام تجدها : الطاهرات •

وأما النشيد الرسمي للعلم الجزائري فقد كتبه زكرياء بدمه واهداه للحكومة الجزائرية ، ومن أبياته :

هيا ، هيا قفوا وارفعوا العلم ..
وانشدوا واهتفوا واعزفوا النغم
اقصفوا المدافع تسمع الامم
رسالة العلم
اشرق رفيعا فى الحمى ، واخفق عزيزا مكرما ، وارشق على نهر الدما
سلما .. للسما .. يا علم ..
علم الجزائر .. عشت يا علم .

وأما عن نشيده لاتحاد الطلاب الجزائريين فمنه :

نحن طلاب الجزائر نحن للمجد بناة
نحن آمال الجزائر فى الليالى الحالكات
كم غرقنا فى دماها .. واحترقنا فى حماها . وعبقنا فى سماها
نحن طلاب الجزائر (17)

هكذا كانت الكلمة المناضلة بجانب الرصاصة الحارقة حتى انتصرت الثورة ، فنصبت الرصاصة على الحدود للذود عنها ، وانطلقت الكلمة المناضلة تبارك خطوات بناء الجزائر .

علي عليلات
(الجزائر)

---

(17) تاريخ الادب الجزائرى . ص : 352 .

بدءاً من فضاء ..

بقلم : أبو جدارين

-1-

الذين عجزوا عن كتابة قصيدة الشعر اتهموا الخليل
وأحمد هذا كما أدخل البحر في « نوبة » الكأس
ادخل الابرة في الخيط بلا رأس
حين لم يجد ما يخيط النسف على الوشيعه
والوشيعة حين التف عليها الخيط
خطبها النول للدخول بها في دين النسيج .
والنسيج حين نزل من رحم النول ::
نزل لفافة من قماش بيضاء
البياض عند الكاتب ورقة تقول للقلم : - هيت لك !
وعند الدهان مسحوق ينتظر الزيت والنسيج ::
وعند المهربين ثراء فاحش .. بلا ضجيج
وعند البيَّاض جير ينتظر الماء .:
والفرشاة .:
والجدار ::

الجدار الأبيض انفتحت فيه نافذة زرقاء
وانفتح الى جانبها باب ازرق كالبحر
وامتد كل منا على الرصيف صفا طويلا
وكل من مرّ ورأى الصف انضمّ إلينا
وكل من رأى الصف وانضمّ إلينا
كنّا له بلا انقطاعْ
وفجأة ينفتح الباب الازرق عن دار شرقية الطباعْ .
ويشرع الناس في الدخول إلى نسيج الدار
وما إن يدخل أحد منا حتى يحل آخر مكانه
فلا الدار قالت : — قطني !
ولا نحن توقفنا عن الدخول في دين النسيج
حتى الذين عجزوا عن كتابة قصيدة الشعر دخلوا
معنا في نسيج «الابداعْ»
لاننا جميعا ابناء أم شرقية الطباعْ
إذا قلنا لها : — الوداعْ
قالت لنا : — إلى اللقاء .
في انتظار الذين رفضوا الخليلاَ
وعجزوا أَنْ يطرحوا البديلاَ :
فالعودة إلى شون الأمّ طفولةٌ بريئهْ
والبراءة لاتشترى .:
لاتبـاعْ !
والشاعر يضحك إذا جاع
ولايموت قاتلا .. وكم من شاعر مات قتيلا !

ابو وجدان

مطالعات

التذكرة السعدية في الأشعار العربية

تأليف : محمد بن عبد الرحمان بن عبد المجيد العبيدي
تحقيق : د. عبد الله الجبوري
عرض : يوسف الحناشي

ـ 2 ـ (*)

أما المقطوعة 219 ص 154 فقد وافقت ما جاء بشرح البرقوقي ما عدا ما ورد في البيت الثاني من تعويض عبارة « ضوارب » بـ « ضرائب » ؛ ويبدو أن القراءة الثانية أصح اذا اعتمدنا شرح «لسان العرب» لابن منظور اذ وجدنا فيه « الضريبة ما ضربته بالسيف ، والضريبة المضروب بالسيف ... » ولم نعثر على هذا المعنى لـ « ضوارب » بمادة « اللسان » (17) .

وتتضمن القطعة 220 ص 154 اختلالا في ترتيب الابيات بالنسبة الى شرح البرقوقي ، فالبيت الذي مطلعه : « بكل منصلت ... » لا يرد عند البرقوقي بعد البيت المستهل بـ « لأتركن » ، بل يليه البيت « والطعن يحرقها ... » ؛ وتوالت بعد ذلك الابيات التي مطالعها « قد كلمتها.. » و « بكل منصلت.. » . وهذان البيتان لم يردا بالتذكرة ، كما لم يرد البيت الذي طالعه « ردى حياض الردى .. » بعد البيت المستهل بـ « شيخ يرى الصلوات .. » بل يجيء بعده، عند البرقوقي ، البيت المستهل بـ « وكلما نطحت تحت العجاج .. » (ج 4 ، ص 206) متبعا بالبيت «تنسى البلاد ..» ثم «ردى حياض الردى ..» . ولم ينبه المحقق الى هذا الاضطراب في ترتيب الابيات .

أما المقطوعة رقم 123 ص 155 بالتذكرة فهي لم تتضمن البيت التالي :

وما الغضب الطريف وإن تقوى بمنتصف من الكرم التلاد

(*) انظر «الفكر» ع : 7 ـ س 31 ـ أفريل 1986 .

(17) لسان العرب لابن منظور ، 1955 ، ص 544 .

وقد ورد فى شرح البرقوقى بعد البيت الذى مطلعه «غمدت صوارما» ، ونجد ، زيادة ، فى التذكرة عوض «ينفر» «ينغر» ؛ ويقول البرقوقى فى شرح الفعل «ينغر» : « نغر الجرح : هاج وورم بعد البرء .. » (18) ولم يشر المحقق الى هذا الاختلاف بل اكتفى بالاحالة على تخريج القطعة بديوان الشاعر .

ولم يرد فى المقطوعة 225 ص 156 بالتذكرة البيت الذى يقول فيه المتنبى :

قح يكاد صهيل الخيل يقذفه عن سرجه مرحا بالعز او طربا

وقد جاء فى شرح البرقوقى بعد البيت الذى مطلعه « بكل أشعث ... » ونلاحظ أيضا اختلافا فى شكل الفعل « عمرت .. » إذ ورد مفتوح العين فى شرح البرقوقى (19) ومكسورها فى التذكرة .

ويبدو فعل « عمر » متعديا تارة ، ولازما طورا آخر حسب « لسان العرب » ، بينما نجد الفعل «عمر» لازما فحسب ، ويفيد معنى طول العمر ؛ والقراءتان ، فى هذين الوجهين ، صحيحتان . ولم يشر المحقق الى هذه الاختلافات .

وتضمنت المقطوعة 226 ص 156 بالتذكرة ثلاثة أبيات زائدة فى طبعة البرقوقى ، اذ نجد بيتا مطلعه «ولا بد من يوم ..» بعد البيت «تخوفنى ..» ، وتتوارد بعده الابيات المستهلة بـ « ولا بد من يوم .. » و « أتانى وعيد الادعياء .. » و « لو صدقوا فى جدهم .. » .

كما نلاحظ اختلافا جزئيا فى شكل عبارة « مثل » التى جاءت مرفوعة مرتين فى نفس البيت الذى مطلعه «كثير حياة المرء ..» عند البرقوقى ؛ بينما وردت الاولى منصوبة فى التذكرة ، ويبرر البرقوقى الرفع للعبارة مرتين بقوله : « مثل : خبر أول .. ويزول : خبر ثان .. » (20) ، وتبدو هذه القراءة أوفق نحويا .

وتتضمن المقطوعة 227 ص 157 بالتذكرة اختلافا فى ترتيب أبياتها مع شرح البرقوقى اذ تفصل الابيات الثلاثة الاولى خمسة عشر بيتا [من ص 194 الى ص 198 ، ج II] .

---

(18) شرح البرقوقى ، ج 2 ، ص 98 .

(19) وكذلك فى تحقيق اليازجى « العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب .. » [2 ج (دون تاريخ)] ج I ، ص 95 .

(20) شرح البرقوقى ، ج I ، ص 173 .

أما القصيدة 228 ص 157 بالتذكرة فقد تضمنت اثنتين وعشرين بيتا زيدت عليها ، فى طبعة البرقوقى ، ستة أبيات . ورد الاول بعد البيت المستهل بـ «عزمة بعثتها همة زحل ..» [ج 6 ، ص 200] وهو :

على الفرات اعاصير وفى حلب توحش لملقى النصر مقتبل

وجاء الثانى بعد البيت المستهل بـ «يلقى الملوك فلا يلقى ..» [ج 3 ، ص 201] وقد قال فيه المتنبى :

صان الخليفة بالابطال مهجته صيانة الذكر الهندى بالخلل

ونطالع بيتين بعد البيت الذى كان عجزه «الجو ضيق ما لا قاه ساطعها..» [ج 3 ، ص 202] ، وهذا البيتان هما :

ينال أبعد منها وهى ناظرة فما تقابله الا على وجل
قد عرض السيف دون النازلات به وظاهر الحزم من النفس والغيل

ويوجد بيت خامس ورد بعد البيت الذى صدره : « ما زال طرفك يجرى فى دمائهم ..» [ج 3 ، ص 207] ، وهو :

يا من يسير وحكم الناظرين له فيما يراه وحكم القلب فى الجدل

أما البيت السادس فقد ورد قبل البيت الاخير من القصيدة وهو :

ينظرن من مقل أدمى احجتها قرع العسالة بالعسالة الذبل

وزيادة على هذا الاختلاف فى الترتيب ، فقد ورد بعض الاختلاف فى حركات بعض العبارات . من ذلك أن البيت الثانى بالتذكرة وفى شرح البرقوقى [ج 3 ، ص 200] قد ورد فى الفعل «تقلقل» مختلف الشكل ؛ اذ أسند للمجهول فى شرح البرقوقى وصار « تقلقل » بينما نجده فى التذكرة « تقلقل » [ص 157] .

وتبدو هذه القراءة خاطئة لتقدم « حتى » الناصبة للفعل .

أما الاختلاف الثانى فقد ورد حول عبارة « الخلل » بصدر البيت الرابع عشر بالتذكرة ، اذ نجد عوضها بشرح البرقوقى «الحلل» [ج 3 ، ص 205] ، وقد بحثنا عن استعمال « خلل » ، « بلسان العرب » فلم نعثر على صيغة لهذه الكلمة . وتبدو قراءة البرقوقى أوفق لمعنى البيت .

ويتضح كذلك الخطأ في شكل عبارة « كل » الواردة منصوبة في البيت السادس بالتذكرة اذ هي فاعل « رأت » والمفعول به « مالئها » وقد جاءت مرفوعة في شرح البرقوقي [ج I ، ص 283] .

ويشابه هذا الخطأ النحوي شكل عبارة « مشى » في عجز البيت التاسع عشر بالتذكرة مرتين بنفس الصورة ، والحال أن أصل البيت جاء :

ما زال طرفك يجرى في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

إذ أن عبارة « طرفك » هي فاعل « مشى » وتكون عبارة « مشي » مفعولا مطلقا لهذا الفعل .

وعلى عكس هذه الاخطاء بالتذكرة نلاحظ وقوع شرح البرقوقي في شيء من التكرار لحرف الجر « من » في البيت :

فما تكشفك الاعداء من ملل من الحروب ، ولا الآراء عن زلل

ولعل الصواب استعمال « عن » بدل « من » في صدر البيت ، [ج I ، ص 28] (2I) . ولا نعثر على إشارة للمحقق لهذه الاختلافات بين الديوان و « التذكرة السعدية » .

وتضمنت القطعة 229 ص I59 بالتذكرة ثمانية عشر بيتا زادت عنها سبعة وعشرون بيتا في شرح البرقوقي ؛ وجاء البيت :

ليت الملوك على الاقدار معطية فلم يكن لدنيء عندها طمع

ضمن القصيدة عند البرقوقي ، بينما قد ورد في آخر الابيات بالتذكرة ، ويوجد في الابيات المذكورة بالتذكرة بعض الاختلاف ، في شكل كلمات ، مع الديوان ، فعبارة «الصّلبان» نجدها «الصُّلبان» في شرح البرقوقي [ج 2 ، ص 398] ، وقد عدنا الى « لسان العرب » فثبت استعمال « صلبان » (بضم الصاد) فحسب .

ونطالع بصدر البيت السابع بالتذكرة [ص I59] قول الشاعر : « يطمع الطير فيها طول أكلتهم» وعوضت عبارة «أكلتهم» بـ «أكلهم» في شرح البرقوقي ، وليس لهذا الاختلاف تأثير على الوزن [البحر البسيط] .

(2I) تتفق رواية اليازجي مع التذكرة ، انظر العرف الطيب ، ج I ، ص 283 .

وتضمن البيت العاشر بالتذكرة [ص 159] اختلافا فى شكل الفعل «صعدت» مع شرح البرقوقى الذى نقرأ فيه «صعدت» [ج 2 ، ص 405] ، والصيغة الاولى أوفق لوزن الفعل (22) ٠ واختلفت كذلك شكل عبارة «كل٠٠» بالتذكرة مع شرح البرقوقى إذ عمد الى رفع العبارة ؛ وقد برر البرقوقى حالة الاعراب هذه بقوله : « كل مبتدأ ، والسبع خبر ، والجملة خبر ليس واسمها ضمير الشأن (23) ، واذا اخذنا بهذا التأويل فان القراءتين تكونان صحيحتين باعتبار أن مجموعة الالفاظ « كل ذوات المخلب .. » خبر مقدم لليس ؛ جاء الجزء الاول منها منصوبا و «السبع» اسمها مؤخر ٠ وخلا تحقيق التذكرة من أية اشارة لهذه الروايات ٠

أما القطعة 232 ص 160 بالتذكرة فقد وردت كما هى بشرح البرقوقى ما عدا الاختلاف فى شكل عبارة « ثناء » فقد وردت « ثناء » فى شرح البرقوقى [ج 3 ، ص 289] ٠ ولم نعثر على استعمال «ثناء» بلسان العرب ، فى معنى المدح . ولم يشر محقق التذكرة الى هذا الخطا فى شكل الاسم .

ولم تتضمن المقطوعة 233 ص 161 بالتذكرة أربعة أبيات رويت فى شرح البرقوقى بعد البيت الثانى ، ومطالعها : « فتقلقلت .. » و « اذا الليل » و « وكأنى من الوجناء » و « يخيل إلي » . ونلاحظ بعض الاختلافات الهامة فى البيتين الثالث والرابع بالتذكرة مع شرحي البرقوقى واليازجى (24) .

فالبيت الثالث يرد هكذا بالتذكرة :

ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلى تساوى المحابى عنده والمقاتل

أما البرقوقى (25) فهو يورد العجز هكذا :

« تساوى المحايي عنده والمقاتل »

---

(22) يخالف اليازجى هذين الروايتين باستعماله «طلعت» عوض «صعدت» ، العرف الطيب ، ج 1 ، ص 322 .

(23) البرقوقى ، ج 2 ، ص 410 .

(24) اليازجى ، العرف الطيب ، ج 1 ، ص 29 ٠

(25) ويشاركه اليازجى فى ذلك أيضا .

ويشرح البرقوقى هذا العجز بقوله : « .. والمحايي والمقاتل جمع المحيا والمقتل : مصدرين ميميين بمعنى الحياة والقتل .. » (26) ، وتبدو نزعة التعميم فى رواية البرقوقى مسايرة لسياق معنى البيت . وتضمن البيت الرابع بالتذكرة اختلافا مع الديوان فى شكل الفعل « غث » اذ أسند مرتين الى نائب الفاعل بالتذكرة ، ونجده مسندا الى المعلوم فى شرح البرقوقى [ج 3 ، ص 368] (27) والقراءتان صحيحتان وزنا ومعنى . كما وردت عبارة «غثائة» منصوبة الغين « غثائة » بالشرحين ، وثبت استعمال « غثائة » فحسب بـ « لسان العرب » (28) .

أما القطعة 234 ص 161 بالتذكرة فقد وافقت رواية البرقوقى ما عدا الخطأ الواضح فى « التذكرة » [ص 161] باستعمال « لا بجدود » بدل « جدودى » كما هو الحال فى الديوان .

وتناسب القطعة 235 ص 161 بالتذكرة رواية البرقوقى ما عدا الاختلاف فى عجز البيت الاول ، فقد وقع العطف بالفاء مرتين ، بينما تم ذلك بالواو فى بداية العجز فى شرح البرقوقى وتبعه الفاء . ويبدو استعمال الواو أكثر توفيقا من تكرار الفاء اذ لا يعطف عادة بالفاء على الفاء . ولم ينبه المحقق الى هذه القراءة المخالفة للديوان .

إن هذه النقائص الواردة فى تحقيق الجبورى لشعر المتنبى فى التذكرة لتكمل ملاحظاته وتسعف المطلع بمعلومات ضافية تحول له تقييم رواية العبيدى للشعر .

أما المقطعات المنسوبة الى جميل بثينة فلم يثبت منها فى ديوان الشاعر تحقيق حسين نصار (29) المقطعات رقم 99 ص 327 و 161 ، ص 346 و 181 ، ص 354 و 189 ، ص 357 .

ولعل هذه المقطعات ما قصد بها المحقق من أشعار لم تنسب من قبل لجميل بثينة .

(26) انظر الهامش ، البرقوقى ، ج II ، ص 68 .

(27) وعند اليازجى كذلك ، ج I ، ص 30 .

(28) لسان العرب ، ج II ، 117 ط. 1374 هـ / 1955 م .

(29) سنعتمد « ديوان جميل (شاعر الحب العذري) » جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصار ، عن دار مصر للطباعة (دون تاريخ) .

وخلافا لما ورد من نقص فى تحقيق عبد الله الجبورى لقطعات المتنبى ـ وقد أشرنا الى ذلك ـ فان التحقيق لاشعار جميل بثينة كاد أن يأتى على كل الجوانب ما عدا بعض الاشارات التى اهملت ونرى اضافتها الى الهوامش .

ففى القطعة 69 ص 316 لم يشر المحقق مثلا الى اختلاف الديوان مع التذكرة فى استعمال « علي » بدل « علينا » فى صدارة عجز البيت الثانى وإن كان لا يؤثر مثل هذا الاصطلاح على وزن البيت (30) .

وقد أشار المحقق كذلك فى المقطوعة 82 و 320 الى الاختلاف مع الديوان فى استعمال « فان كرت » عوض « وإن كرت » الا أنه لم ينبه الى أن هذا الفعل قد ورد مسندا الى المعلوم فى تحقيق نصار (31) .

أما القطعة 121 ص 333 فقد تضمنت اختلافا أيضا مع رواية الديوان فى رسم الفعل « يحيا » فى عجز البيت السادس دون ألف المد ، والقراءتان عروضا صحيحتان ، الا أنه لا يوجد أى تعليل نحوي لجزم الفعل ؛ فان اعتبر جملة جواب الشرط لجملة الشرط « اذا فارقتها » فان الأداة « إذا » غير جازمة للفعل المضارع ، وكان على المحقق أن يشير الى خطا الديوان فى رسم الفعل (32) .

وفى المقطوعة 177 ص 352 يخالف الديوان رواية التذكرة فى اسنادها الفعل « يبين » الى المعلوم اذ ورد ، فى تحقيق نصار ، مسندا الى المجهول . كما أن المحقق قد أشار فى تخريج أبيات المقطوعة الى أن البيتين الاولين واردان فى ديوان جميل بثينة بينما انفرد كتاب «الاغاني» للاصفهانى برواية البيت الثالث والرابع (33) والحال أن الابيات الاربعة مثبتة بالديوان ، الاول والثانى بالصفحة 185 والثالث والرابع بالصفحة 186 ، ولعل الفصل بين الابيات فى طبعة الديوان قد ضلل المحقق . وقد ذكر المحقق أيضا بالنسبة الى المقطوعة 180 ص 353 ، وفى تصحيحه لصدر البيت الاول « وما مر يوم منذ تراخت بك النوى » ، الاختلاف مع الديوان فى استعمال « بي » بدل « بك » الا أنه لم يشر أيضا الى استعمال «ترامت» فى الديوان بدل «تراخت» (34) .

---

(30) الديوان ، ص 143 .
(31) الديوان ، ص 26 .
(32) الديوان ، ص 67 .
(33) انظر تخريج الابيات ، ص 352 بالتذكرة .

إن هذه النقائص ، وإن كانت جزئية فى تحقيق أشعار جميـل بثينـة ، لضرورية لتكلمة هوامش المحقق وتقديم نصوص للمطلع ملمـة بالروايـات المختلفـة .

والى جانب هذه التصويبات فى التحقيق يستوقفنـا النقص فى تبـويب الكتـاب .

فقد وردت فى الطبعة التى بين أيدينا ثلاثة أبواب فحسـب : أولهـا فى « الحمـاسة والافتخـار » وثانيها فى « الأدب والحكم والامثـال » وثالثها فى « النسيب » . ويبدو أنها من تخريج المحقق اذ نص على أن ما يسجلـه بين حاصرتين هو من زيادته .

وفى هذه الحال أين تكون الابواب الاخرى للكتاب وقد أثبت المؤلف نفسه فى مقدمته أربعة عشر بابا لاغراض مختلفة ؟؟ (35) .

إن عدم وضوح هذا التقسيم قد يحملنا على استنتـاج ان مـا نشـر من « التذكرة السعدية » هو جزء من الكتاب فحسب .

وقد ورد كذلك فى فهرس أسماء الشعراء بعض الاضطراب فى التبويب ، اذ اصطلح المحقق على اعتماد تأخير الكنية أو اللقب فى سلسلة النسب ؛ الا أن هذا المنهج لم يراع فى بعض الحالات اذ قدم اللقب فى الصدارة (36) .

ولم يرد فهرس لقوافى الابيات ، وهو ضرورى جدا لوفرتهـا وصعـوبة الرجوع الى مصادرها . كما كان من المفيد أن يلحق المحقق متن التذكرة بقائمة فى المصادر والمراجع المعتمدة فى التحقيق ليقع الرجوع اليهـا والتيقـن من طبعاتهـا .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الطبعة «للتذكرة السعـدية» أن تحقيقها ، وإن تمكن من كشف جوانب عديدة تتعلق بالاثر اجمالا فقد أخل بمجهود آخر يزيد ضبطا للنصوص ولعل الطبعات القادمة للتذكرة ستأتى على تجاوز هـذه النقائص ، ويكون الكتاب ميسر الاستعمال لمعشر الباحثين والمطلعين .

يـوسف الحنـاشى

---

(34) الديوان ، ص 127 .
(35) التذكرة ، ص 53 .
(36) انظر مثلا الغـزي فى « غ » ص 402 ، والقطـامى فى « ق » ص 402 ، والاصمعى ص 349 ، والبحترى ص 394 .

قراءات سريعة

• تدريس اللغة والآداب العربية بنظامية بغداد :

فى السلسلة الادبية لدفاتر « مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية » بتونس صدر العدد 4 بتاريخ 1983 متضمنا الأطروحة التى نال بها هشام بوقمره سنة 1973 دكتوراه الدولة بعنوان « تدريس اللغة والآداب العربية بنظامية بغداد » .

ونظامية بغداد كانت فى العالم منذ أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أشهر جامعة بالمعنى العلمى الحديث المتوخية لطرق أكبر الجامعات العصرية اليوم بالولايات المتحدة الاميركية أو الاتحاد السوفياتى .

ومهما كانت دوافع انشائها وغاياته فانها تصدرت طيلة قرنين على الاقل إرساء نظام تدريس متين أشع على كامل العالم الاسلامى ولذلك كانت جديرة بالدرس الجاد والبحث المتعمق وهذا ما قام به هشام بوقمره محاولا إبراز صورة واضحة شاملة لتلك الجامعة الوحيدة من نوعها فى زمانها والمتميز نظامها ومادة تعليمها وأساليب تدريسها عما سبقها وعاصرها من مساجد ومدارس .

وتشمل أطروحة هشام بوقمره ثلاثة أقسام :

الاول فى تأسيس النظامية البغدادية : أصل بنائها وتكاليفه ، موقعها المحتمل ثم مجلس التصرف والادارة وقانون تسمية الاساتذة وأنواع الطلبة وموارد عيشهم ووسائل التعليم .

والقسم الثانى خاص بالمدرسين: شخصيتهم وتكوينهم وأصنافهم من الاساتذة كبار ومعيدين ومكلفين بالنشاطات التابعة للجامعة (شعراء وأئمة ومؤرخين) مع التعريف باشهرهم الذين لا يقل عددهم عن 145 .

اما القسم الثالث ففى التعريف بمادة الادب ودراسته وكتبه فى ميدان

اللغة من جهة وفى ميدان الدراسات الادبية شعرا ونثرا وبلاغة ووعظا وتاريخا من جهة أخرى ثم فى توضيح أسلوب التدريس ومميزاته ونتائجه .

وتنتهى الاطروحة بسلسلة من الفهارس على امتداد 60 صفحة .

• مفهوم السببية عند الغزالى :

صدرت عن « دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع » بتونس بتاريخ 1985 الطبعة الثانية من كتاب « مفهوم السببية عند الغزالى » لأبى يعرب المرزوقى .

يتناول أبو يعرب المرزوقى موضوعه من منظار خاص لكنه هام جدا بالنسبة للتفكير الاسلامى والتفكير الغزالى بالخصوص لابراز هذا التفكير وعطائه المتميز بالظاهرة السببية فى المسيرة المعرفية الوجودية للعقل الانسانى المتصل أو الناتج حتما عن العمل الالاهى أو الارادة الالاهية مهما كانت مظاهره واستنتاجاته بحيث أنه كما يقول أبو يعرب : « يمكن أن نجزم أن تاريخ القرون الاولى من عصر الثقافة العربية الاسلامية لم يكن تاريخ التعلم لدى اليونان بقدر ما كان تحرر الفكر العربى من هذا الفكر بفضل وضع العقل الجديد وبفضل استئهال ما فى الثقافة اليونانية من عناصر ايجابية وذلك هو معنى الانتقال الذى عوض العقلانية المنغلقة بالارادة المتفتحة » بحيث « ليست ثورة الثقافة العربية فى عصرها الاسلامى هضم الفكر اليونانى ونشره بل هى وضع عقلها الذى يخصها والذى يقابل الوضع اليونانى » .

وعلى كل فقيمة الكتاب توجب على المختصين طبعا الاطلاع عليه والتعمق فيه مهما كانت احتمالات مناقشته .

• النهايات المفتوحة :

صدرت بتاريخ 1985 الطبعة الثانية من كتاب « النهايات المفتوحة » لشاكر النابلسى عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ومن المعلوم ان الطبعة الاولى قد صدرت بالقاهرة منذ عشرين سنة (1964) وبالرغم عن مرور الزمن وتطور القصة وتشعب فنونها والوانها وتعدد ملامحها تبقى هذه الدراسة معاصرة لانها تناولت تشيكوف ولان أدب تشيكوف أدب عالمى خارج عن الزمان والمكان أعنى صالح لكل زمان ومكان إذ هو أدب الانسان الجوهر الفرد على ما يبدو فيه ظاهرا من اقليمية أو محدودية يتناوله بالخصوص الانسان العادى البسيط هو الانسان الجوهر هو الطبيعة البكر هو المنجم الثري هو النبع الصافى غير الملوث .

وتشيكوف سما بالقصة والمسرحية الى أعظم وأبعد مشارفها بتمجيده لواقع الانسان وتناوله للحظات حياته البسيطة لكن ذات الجذور العميقة والمعدن الاصيل وللتفاصيل الجزئية التافهة التى لا ينتبه اليها الا القليل القليل والتى لا يضاهيها بهرج المظاهر ولا براعة التزييف .

ودراسة شاكر النابلسى قد تناولت ووضحت هذه النواحى الفريدة لأدب تشيكوف الفنان القصصى والمسرحى العالمى دون منازع والملتزم الى الانسان فقط .

◆ **القضية اللغوية فى تونس :**

كتاب أول من ثلاثية الدكتور هشام بوقمره التى يتناول فيها قضية اللغة العربية فى تونس في القرن العشرين اعتمادا على معطياتها منذ بدء القرن .

ويتناول هذا الجزء الاول الصادر فى جويلية 1985 القضية اللغوية فى إطار الفكر الاسلامى والدعوة الى الادب القومى مع ملاحق عديدة على امتداد 230 صفحة من الصفحات 420 التى يشملها الكتاب .

وينوى الكاتب فى الجزء الثانى تناول الاعمال التى قام بها المستعربون فى تونس حول القضية اللغوية وآثار تلك الاعمال على التفكير التونسى وفى الجزء الثالث التعرض للاتجاهات المختلفة رسميا وفكريا حول القضية منذ الاستقلال .

◆ **قراءة فى كف فتاة :**

صدرت من منشورات دار صباح بعمان الاردن سنة 1985 تحت عنوان « قراءة فى كف فتاة » لمازن حجازى مجموعة أدبية خارجة الا القليل القليل منها عن الايقاع للقصيدة العربية وهذا لا ينفي عنها الروح الشعرية والانطلاق مع الاحلام العذبة أحيانا والمريرة أحيانا أخرى والتوق الى فك الحصار والاعلان للحرية والجهر بالحب والعشق ... « **حتى تتحرر الأجساد والعقول** » .

إنه صوت لشاعر فلسطينى وليد مدينة الخليل بالارض المحتلة مدرس وصحافي ومقاوم ومقاتل تنتظر منه مواصلة عطائه لشعرى .

محسن بن حميده

ندوة القراء

تحية لمجلة الفكر

بقلم : د. صفاء خلوصي

تكرم الاخ الاديب الاستاذ وديع فلسطين فبعث إلي بنسخة من العدد الممتاز من مجلة « الفكر » فأسفت لانني لم أشارك فى ازجاء التحية لهذه المجلة الرائعة التى جمعت كل طريف ورائع بين دفتيها فى عيدها الثلاثين بعد أن بلغت أوج النضج والقوة والعطاء ، فرأيت من واجبى أن أحييها ـ وإن جاءت التحية متأخرة ـ اكبارا للمثابرة الادبية على مدى ثلاثة عقود وتكريما للنهج الجديد فى تكريم الأحياء اكرامنا للراحلين من الافذاذ ، ولا يعنى هذا تنكرنا للماضى فحاضرنا موصول الجذور منه يستمد نماءه وقوته ، وبه يشتد عوده ويطيب غرسه ، وبهذه المناسبة آمل من مجلة « الفكر » أن تصدر عددا خاصا فى العام المقبل بمناسبة مرور تسعمائة سنة على وفاة العالم المترجم والطبيب التونسى الشهير « قسطنطين الافريقى » (IOIO م ـ IO87 م) الذى كان أول من نقل التراث الطبى العربى الى أوربا عن طريق جامعة ساليرنو الايطالية وقد اقترحت على اتحاد المؤرخين العرب ببغداد القيام باحتفال عالمى لاحياء ذكراه تشترك فيه بغداد وحلب اللتان درس بهما الطب وتونس التى ولد وعاش فيها حتى سن التاسعة والثلاثين من عمره وايطاليا التى أمضى فيها نحوا من ذلك القدر من حياته وخدمها بترجمة 67 مؤلفا طبيا الى اللاطينية ، لغة الثقافة فى أوربا يومذاك .

وقد سرنى أن أرى مجلّة « الفكر » تولي عناية خاصة للشعر التراثى الخليلي ، فاكثر القصائد الواردة فى العدد الذى بين يدي من هذا اللون ، لا لأننى أتنكر للتجديد فى مجال التراكيب الشعرية بل لأننى وجدت أكثر ما كتب فى سواه تافها لا يستحق ان يسمى « شعرا » حتى ولا « أدبا » فهو خلو

من المعنى والمبنى والوزن والقافية ، متحرر لا من قواعد العروض فحسب بل من قواعد اللغة أيضا ، فهو مؤامرة خطيرة لنسف التراث العربى من القواعد ، وحسبنا الموشح ففى مجاله كل ألوان الابداع والتجديد إن شئنا ابداعا وتجديدا فى شعرنا المعاصر ، لذلك استمتعت كثيرا فى قراءة المقال الذى كتبه الاستاذ عبد العزيز قاسم بعنوان « نظرات فى الشعر التونسى من خلال مجلة الفكر 1955 ـ 1985 » فليس فيه شعر خال من المعنى والموسيقى وهو الى ذلك بعيد عن الرمزية الغامضة التى تحاول أن تغطي على انعدام متطلبات الشعر من معان وتفاعيل وجرس عذب بغموض متعمد مفتعل !

وعلى العموم فالمجلة موسوعة لادبنا الحديث وثقافتنا المعاصرة وستكون مرجعا معتمدا للباحثين من الاجيال القادمة التى أرجو أن تشهد امتداد عمر المجلة الى أيامهم وما بعدها .

ولا زلتم وكل عيد ثلاثيني بخير واحتفال بهيج ! والى اللقاء فى الاحتفال بذكرى قسطنطين الافريقى فقد أعددت له قصيدة تليق بما قدم هذا التونسى العظيم للعروبة من خدمات .

اكسفورد / د. صفاء خلوصى
(انقلترا)

ننشر فى العدد القادم

قصيدة للشاعر المنصف الوهايبي عنوانها :

عند أبواب القيروان

ألقاها الشاعر فى الاسبوع الثقافى التونسى بمسقط

أصدقاء الفكر

● **مزالي في « المجلة الثقافية » :**

اهتمام الرأي العام الثقافي بدولة قطر الشقيقة بالابداعات الفكرية التونسية المعاصرة منها بالخصوص يؤكد حرص الاشقاء بهذا القطر العربي على ربط الصلة الطبيعية مع الفكر النابع من المغرب العربي ، فمجلة « الفكر » كما أكد ذلك الناقد والشاعر السوري المعروف والمقيم بقطر منتجا ومذيعا باذاعتها الرسمية الاستاذ حسان عطوان تعتبر النافذة التي يطل منها القطريون على أهم التيارات الابداعية المعاصرة بتونس . فابداعات الاستاذ محمد مزالي ومواقفه الرائدة في دنيا الثقافة معروفة لدى الخاص والعام وانتاج الاستاذ البشير بن سلامه يثير دوما اهتمام الرأي العام الثقافي بتلك البقاع بالاضافة الى ابداع العديد من الشعراء والروائيين التونسيين الآخرين . وقد أورد الاستاذ حسان عطوان في برنامجه الاذاعي المعروف « مجلة الثقافة » النص الكامل لاحدى محاضرات الاستاذ محمد مزالي وذلك ليلة الاربعاء 10 أفريل 1986 . كما أنه سيشرع قريبا في بث مجموعة من الحصص الاذاعية حول مجلة « الفكر » وتيارات الادب التونسي المعاصر .

● **في افتتاح الدورة الثالثة للمجلس العلمي لـ « بيت الحكمة » :**

أشرف السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية يوم الثلاثاء 86/4/15 على افتتاح الدورة الثالثة للمجلس العلمي للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات « بيت الحكمة » التي تتواصل يومين وذلك بحضور الدكتور أحمد عبد السلام رئيس المؤسسة وعدد من الاساتذة الجامعيين والباحثين القادمين من البلدان الشقيقة والصديقة .

وبين السيد البشير بن سلامه فى كلمة الافتتاح ان هذه الدورة هى مناسبة للاطلاع على ما تقوم به مؤسسة «بيت الحكمة» التى باركها الرئيس الحبيب بورقيبة ويرعاها السيد محمد مزالى الوزير الاول ووزير الداخلية من دراسات وبحوث فى ميادين عدة كالترجمة والتحقيق والتأليف والابداع والعمل المخبري.

وعبر الوزير فى هذا الصدد عن اكباره لجهود الاساتذة والباحثين الذين قدموا خدمات جليلة واعمالا قيمة هى فى صلب النهوض بالمعرفة والفكر مما يبعث على التفاؤل بمستقبل هذه المؤسسة واشعاعها سواء على الصعيد الوطنى أو العربى الاسلامى وكذلك على الصعيد العالمي .

وأضاف الوزير يقول : فالمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات وان كانت مؤسسة تونسية فهى فى حقيقة الامر مؤسسة ذات اشعاع اشمل وأوسع فقد أردناها خدمة لكل الثقافات . وهى بذلك تتنزل فى صلب توجهنا الثقافى الذى يقر بتناغم بعدين أساسيين من ابعاد سياستنا الثقافية يتمثلان فى ايماننا الثابت بان الثقافة اثبات للذات وتأصيل للشخصية التونسية فى مقوماتها العربية الاسلامية بأن العمل الثقافى انما هو عمل انسانى يتجاوز الحدود الضيقة وينبذ الانغلاق على النفس توقا لتلاقح الثقافات خدمة للانسانية قاطبة .

ودعا الوزير كل العلماء الذين هم اعضاء فى المجلس العلمى للمشاركة الكفيلة بأن تحقق «بيت الحكمة» مشاريع كبرى وأن تواصل مجهوداتها بنفس المستوى ونفس الروح سواء على صعيد الثقافة العربية الاسلامية او فى مجال الثقافات الاخرى .

وأكد السيد البشير بن سلامه من جهة أخرى وقوف الوزارة الحازم والثابت الى جانب « بيت الحكمة » بالتشجيع والمؤازرة حتى تتمكن من أداء رسالتها الحضارية على الوجه الاكمل .

وأضاف ان صندوق الثقافية الذى بعث منذ بضع سنوات باعتباره ميزانية خاصة تؤازر الخلاقين وتشجعهم ليقف دوما الى جانب « بيت الحكمة » وكل العاملين فيها من الاساتذة التونسيين والاصدقاء والاشقاء على حد سواء ذلك ان هذا الصندوق يتنزل بدوره فى صلب النظرة الخاصة لشؤون الثقافة على انها حركة انسانية شاملة تخدم مسيرة الانسان الحضارية حيثما كان .

وأهاب السيد البشير بن سلامه فى الختام بكل الاساتذة والباحثين من البلدان الصديقة والشقيقة للعمل على تحسيس زملائهم العلماء فى كل البلدان التى ينتمون اليها للاسهام فى أعمال المؤسسة سواء فى مجالات الترجمة أو التحقيق والدراسة أو التأليف حتى يتسنى الاطلاع على انجازاتنا الفكرية هنا

وهناك وتسهل عملية التلاقح الفكرى بيننا كما أهاب بالمشرفين على حظوظ المؤسسة ليعملوا على تشجيع النشر المشترك سواء بين الاساتذة الذين يعملون فى صلب المجلس العلمى أو بين المتعاونين لما فى ذلك من فوائد جمة تخدم الثقافة فى بعدها الشامل .

وتجدر الاشارة الى ان نشاط « بيت الحكمة » خلال سنة 1986 يرتكز أساسا على نطاق عدة مشاريع سنوردها بالتفصيل فى عدد لاحق.

● **عن الحركة الثقافية فى تونس :**

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « الأقلام » العراقية فى عددها الثالث ـ سنة 1986 مقالا بقلم الشاعر احميده الصولي نقتطف منه ما يلي :

تزخر الحياة الثقافية بتونس بعديد الانشطة المتضمنة لمهرجانات ولقاءات أدبية وندوات وأمسيات شعرية وعروض مسرحية وسنما وموسيقى الخ ... ولا يخلو مجال من مجالات الثقافة الا ولتونس فيه تظاهرات مختلفة تتوزع حسب الجهات والاختصاصات أيضا .. واهتمت وزارة الشؤون الثقافية خاصة بالاعلام الذين تركوا آثارا يحمد ذكرهم بها فاقامت العديد من الملتقيات وبرمجت لندوات وتظاهرات كثيرة مما زاد الساحة الثقافية حركية ، أضف الى ذلك تأسيس النوادى والمؤسسات التى تهتم وتختص فى الميدان الثقافى بجميع فروعه وتفريعاته .

ولو ألقينا نظرة قصيرة على الثلاثة أشهر الاخيرة من سنة 1985 مثلا لشاهدنا عددا من التظاهرات الكبيرة التى أقيمت من الاخصائيين العرب والاجانب ... ولعل مناسبة الاحتفال بثلاثينية « الفكر » تتصدر هذه المناسبات ... حيث حضرها جمع كبير من الباحثين والادباء والمفكرين من الاقطار العربية خاصة ومن عدد من الدول الاجنبية ايضا ... وكانت فرصة لدراسة محاور اربعة هى :

1) الشعر فى مجلة « الفكر » ـ 2) القصة فى مجلة « الفكر » ـ 3) النقد فى مجلة « الفكر » ـ 4) الاتجاهات الفكرية فى مجلة « الفكر » .

تناولها أربعة من الاساتذة المختصين ونمت مناقشتهم فى جلسات علمية حضرتها جموع كبيرة من رجال الثقافة والادب والفكر . كما قدمت كلمات عديدة محتفية بالمجلة ومؤسسها الاستاذ محمد مزالى والمشرفين عليها ... وصاحب ذلك قصائد شعرية ومعارض ونشريات أنجزت خصيصا للمناسبة وقد التامت هذه التظاهرة بقصر المؤتمرات بالعاصمة التونسية .

● **جائزة ابن رشيق للنقد الادبى :**

سعيا لتجسيم التعاون ، واحكام روابط الاخاء والتواصل بين الادباء والكتاب والمبدعين فى كل من الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، والجمهورية التونسية .

وتحقيقا للاهداف المشتركة التى نصت عليها القوانين والنظم الاساسية التى قام عليها كل من :

« اتحاد الكتاب والصحافيين والمترجمين الجزائريين ، واتحاد الكتاب التونسيين » .

يشرف الاتحادين المذكورين دعوة الكتاب والادباء والباحثين ورجال الفكر فى كلا البلدين الشقيقين للترشح لجائزة :

« **ابن رشيق للنقد الادبى** » وذلك حسب الشروط التالية :

1) ـ أن يكون العمل المرشح (النقد الادبى) قديما أو حديثا ، ممارسة أو تنظيرا .

2) ـ أن يكون مضمون العمل المرشح قضايا التراث والحضارة والفكر والادب فى المغرب العربى بصفة عامة أو فى البلدين المشار اليهما بصفة خاصة .

3) ـ أن يحمل المرشح جنسية أحد البلدين المذكورين ، سواء كان مقيما داخله أو خارجه .

4) ـ أن يكون العمل المرشح منشورا ، ومحررا باللغة العربية ، وأن لا يكون قد مضى على صدوره أكثر من سنتين عند الاعلان عن الجائزة .

5) ـ أن لا يكون العمل المرشح قد حصل على أية جائزة من الجوائز أو قدم لنيل شهادة جامعية أو انجز بتكليف من جهة ما .

6) ـ أن يشفع الترشح لهذه الجائزة بتقرير عن حياة المرشح وأعماله .

7) ـ يجوز الترشح للجائزة بأكثر من مصنف واحد فى نفس الاختصاص

8) ـ قيمة الجائزة (خمسة آلاف دينار) تونسى أو (خمسون ألف دينار) جزائرى .

9) ـ توجه جميع الترشحات فى سبع نسخ فى أجل أقصاه 6 أشهر من نشر هذا الاعلان الى العنوان التالى : اتحاد الكتاب والصحافيين والمترجمين الجزائريين 88 شارع ديدوش مراد الجزائر . أو اتحاد الكتاب التونسيين 20 شارع باريس تونس ـ 1000 .

● مجلس أدبى فى بيت الطيب صالح :

الاديب السودانى الكبير صاحب رائعة « موسم الهجرة الى الشمال » والذى يعمل ممثلا لمنظمة اليسنكو بالخليج العربى أحب أن يحتفل بقدوم الوفد التونسى المشارك فى أسبوع الاخوة القطرى التونسى على طريقته الخاصة حيث استدعى الاستاذ البشير بن سلامه والوفد المرافق له للنزول ضيوفا عنده . السهرة كانت لطيفة وثرية حيث انضم اليها جمع من المفكرين والادباء العرب، ونشطها الطيب صالح بتدخلاته الرشيقة وأسلوبه التعبيرى الخصوصى ، وفى حين تنوع النقاش وتشعب بين الحاضرين تركزت تدخلات الناقد العربى

الكبير رجا النقاش رئيس تحرر مجلة « الدوحة » على ما ورد بمحاضرة الاستاذ البشير بن سلامه التى ألقاها فى نفس اليوم بنزل شيراتون الدوحة وقد علق رجا النقاش على محاور المحاضرة بقوله : « إنها مهمة جدا وتدفع الى التأمل والتفكير » .

● **سيمون دى بوفوار ... رحيل آخر رموز الوجودية :**

فقدت فرنسا والاوساط الفكرية العالمية ، الاديبة الذائعة الصيب ورائدة التحرر النسائى فى الغرب « سيمون دى بوفوار » رفيقة الفيلسوف الوجودى الراحل جون بول سارتر وخليفته على رأس الحركة الادبية الوجودية فى العالم. وتعتبر سيمون دى بوفوار من أهم الوجوه الفكرية المعاصرة التى أفرزتها فترة ما بين الحربين حيث برزت باثرائها للتيار الوجودى الذى نظر له جون بول سارتر، وبمواقفها النضالية من أجل امرأة متحررة ومتحكمة فى مصيرها، وقد أثارت مواقفها الجريئة وعلاقتها بسارتر ردود فعل عنيفة فى الاوساط الفكرية والاجتماعية المحافظة بالغرب وكانت حتى آخر أيامها تشرف على تحرير مجلة « الأزمنة الحديثة » التى أسسها رفيقها جون بول سارتر .

● **المؤتمر الخامس عشر للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب :**

انعقد المؤتمر الخامس عشر للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب بالعاصمة العراقية ـ بغداد ـ وذلك فى الفترة الفاصلة بين 17 و 23 مارس 1986 وقد أسندت رئاسة جلسات المؤتمر لتونس ، حيث ألقى السيد العروسى المطوى ، رئيس اتحاد الكتاب التونسيين كلمتي الافتتاح والاختتام وأدار أعمال المؤتمر وجلساته . وقد كانت المشاركة التونسية مكثفة على جميع المستويات اذ ضم الوفد الرسمى المشارك خمسة أعضاء هم السادة : محمد العروسى المطوى ، محمود طرشونه ، محمد الهادى الطرابلسى ، ابراهيم بن مراد وجلول عزونه. بالاضافة الى مشاركة الشاعر محمد الغزي الذى دعي بصفة خاصة من قبل الأمانة الدائمة لاتحاد الادباء العرب .

وقد برزت المشاركة التونسية بتميزها وكثافتها ووصلت الدراسات المقدمة فى جلسات المؤتمر الى خمس دراسات .

- مستقبل الاجناس الادبية ـ لمحمد الهادى الطرابلسى .
- الادب الانسانى ومواجهة الغزو الثقافى ـ لمحمود طرشونه .
- البحث اللسانى العربى واقعه وآفاقه ـ لعبد السلام المسدي .
- المشاكل المنهجية فى ترتيب المعجم العربى الحديث ـ لابراهيم بن مراد .
- من أجل إضافة عربية مميزة فى ميداني القصة والرواية ـ لجلول عزونه.

وتم خلال هذا المؤتمر انتخاب السيد حميد سعيد الامين العام لاتحاد الكتاب العراقيين ، أمينا عاما لاتحاد الادباء العرب خلفا للسيد علي عقلة عرسان الذى لم يتمكن من حضور المؤتمر .